بشار بن صادق آل صلاح الجيشي

الرؤى المنامية

في القرآن الكريم

الرؤى المنامية في القرآن الكريم

شبكة
الألوكة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرؤى المنامية في القرآن الكريم

تأليف

بشار بن صادق آل صلاح الحبيشي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات

شبكة الألوكة - قسم الكتب

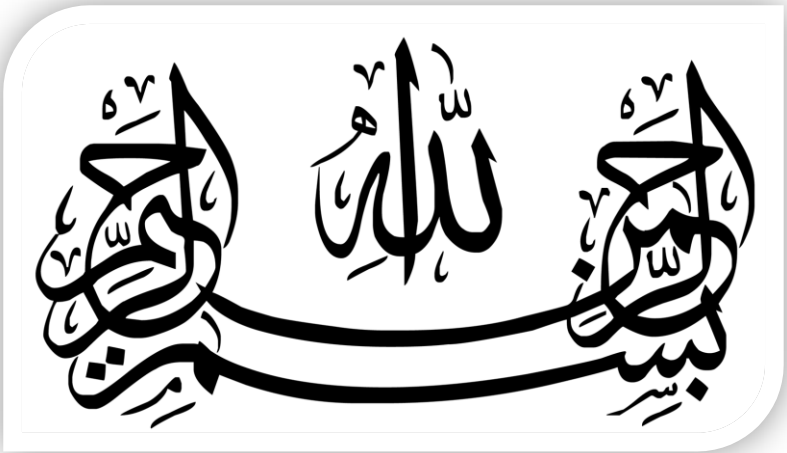

وما من كاتبٍ إلا سيفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداهُ
فلا تكتب بكفك غير شيئٍ ... يسرك في القيامة أن تراهُ

الكتاب: الرؤى المنامية في القرآن الكريم.

المؤلف: بشار بن صادق آل صلاح الحبيشي.

النوع: ملون.

الطبعة: الأولى ١٤٤٦هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب الأرض والسموات، ومنشئ الموجودات، وباعث الأموات، وسامع الأصوات، ومجيب الدعوات، وكاشف الكربات، رافع الدرجات، وغافر الخطيئات، عالم الأسرار، وغافر الأوزار، منجي الأبرار، ومهلك الفجار، الذي علم وألهم، وأنعم وأكرم، وحكم وأحكم، وأوجب وألزم، سبحانه سبحانه، تفرد بعز كبريائه عن إدراك البصائر، وتقدس بوصف علاه عن الأشباه والنظائر، وتوحد بكمال جبروته فالعقل في تعظيمه حائر، وتفرد في ملكوته فهو الواحد القاهر، الأول قبل كل أول الآخر بعد كل آخر، الظاهر بما أبدع فدليل وجوده ظاهر، الباطن فلا يخفىٰ عليه ما هجس في الضمائر.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا وقائدنا وقدوتنا وقرة أعيننا محمد، عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد العظماء، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن سار علىٰ نهجه وتمسك بسنته واقتدىٰ بهديه، وسلم تسليمًا كثيرًا مزيدًا مباركًا من يومنا هذا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن من سنة الله في حياة الإنسان أنه يرى في منامه رؤىً، ويحلم أحلامًا، منها ما تكون صادقةً صالحةً، ومنها ما تكون من أحاديث النفس وأوهامها، ومنها ما تكون تلاعبًا من الشيطان بالعبد.

ولما أن كان القرآن الكريم شاملًا كاملًا، احتوى على جميع مجالات الحياة، وتحدث عن جميع ما يتعلق بحياة الإنسان، وقص الله علينا فيه قصصًا، وأوضح لنا أخبارًا، ومن ذلك أن تحدث الله في القرآن الكريم عن بعض الرؤى المنامية، التي حصلت لبعض الأنبياء كإبراهيم ويوسف ومحمد عليهم الصلاة والسلام، أو غيرهم ممن ذكر الله رؤاهم في القرآن الكريم.

وقد سبق أن جمعت رسالةً بعنوان: "كتاب الأربعين في رؤى سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ذكرت فيها ما يتعلق برؤى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنامية الصحيحة، ثم أحببت أن أردفها برسالةٍ أخرى فيها ذكر الرؤى المنامية المذكورة في القرآن الكريم، وذلك أني لم أجد – على حد علمي القاصر- من جمع ذلك في رسالةٍ مستقلة، فأحببت أن أشارك في هذا الباب لعل الله أن ينفع بذلك، فنهضت مستعينًا بالله وقمت بجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الرؤى المنامية، وقمت بترتيبها، وتبويبها، ونقلت عند كل آية ما تيسر من تفاسير أهل العلم خصوصًا تفسير الإمام السعدي، وكان سبب نقلي لتفسير الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند الآيات المتعلقة بالرؤى المنامية هو ما يتميز به هذا

التفسير من سهولة ألفاظة، واختصاره... وكذلك أيضًا وقفت عند كل رؤيا وقفات يستفيد منها القارئ، إضافةً إلىٰ ما سيمر عليه القارئ من الفوائد الماتعة والمسائل النافعة التي نقلتها من كتب أهل العلم والتفسير رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ...

وها أنا أقدم هذا البحث للقارئ الكريم، آملًا وراجيًا أن ينتفع به، وأن يدعو لكاتبه، وأن يعذره فيما أخطأ فيه، فإن الخطأ لا بد من حصوله، فالإنسان جبل علىٰ الخطأ والنسيان، وإنما هذا العمل حسنة مقصر، وجهد مقل، أقدمه متمثلًا بقول القائل:

حررته مجتهدًا ... وليس يخلو من غلط
قل للذي يلومني ... من ذا الذي ما ساء قط؟

"ومن المحال أن يخلو كتاب من الخطأ حاشا كتاب الله تعالىٰ... فقد أبىٰ الله العصمة لغير كتابه"، وقد كان يقال: "من ألف كتابًا فقد استشرف، وإذا أصاب فقد استهدف، وإذا ما أخطأ فقد استقذف" وقد كان يقال أيضا: "لا يزال الرجل في فسحةٍ من عقله ما لم يقل شعرًا، أو يضع كتابًا".

وإني قد اعتذرت في بدايةِ الكتاب وختامه، وأوله وتمامه...

"والعذرُ عند كرام الناس مقبولُ ... والعفو من شيم السادات مأمولُ"

وقال آخر:

"ولا ترى عذرًا أولى بذي زللٍ ... من أن يقول مقرًا: إنني بشرُ

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يتقبله عنده، وأن يكتب له القبول عند خلقه، وأن يجعله حجةً لي لا علي، وأن يكتب لي به أجرًا، وأن يضع عني به وزرًا، وأن يوفقني لخدمة كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يبلغني -والقارئ الكريم- منزلة العلماء العاملين، وأن يجعلنا في ركب الكرام الصالحين، وأن يثبتنا على الحق المبين، وأن يهدي قلوبنا ويصلح أحوالنا، إنه سميع الدعاء، وواسع العطاء.

وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم

وكتبه طالب العلم وخادمه

بشار بن صادق بن علي نعمان آل صلاح الحبيشي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات

في الحادي عشر من شهر رجب لعام خمسةٍ وأربعين وأربع مائة وألف للهجرةِ النبويةِ على صاحبها الصلاة والسلام

الموافق للثالث والعشرين من شهر يناير لعام ألفين وأربعةٍ وعشرين ميلادية.

١٤٤٥/٧/١١هـ الموافق ٢٠٢٤/١/٢٣م

مدخل(١)

قبل أن ندخل في أصل الكتاب ولبه، أشير هنا إلىٰ بعض المسائل والفوائد المتعلقة بالرؤىٰ المنامية –اختصارًا–:

تعريف الرؤى:

الرؤىٰ: جمع رؤيا وهي ما يراه الإنسان في منامه.

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [لسان العرب (١٤/ ٢٩٧) مادة رأىٰ]:

«والرؤيا: ما رأيته في منامك، وهي الرؤىٰ، ورأيت عنك رؤىٰ حسنة: حلمتها و أرأىٰ الرجل إذا كثر رؤاه، بوزن رعاه، وهي أحلامه، جمع الرؤيا، ورأىٰ في منامه رؤيا، علىٰ فعلىٰ بلا تنوين وجمع الرؤيا رؤىً بالتنوين، مثل رعىٰ».

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [معجم مفردات ألفاظ القرآن (١٨٨)]:

«والرؤيا ما يرىٰ في المنام، وهو فعلي، وقد يُخفف فيه الهمزة فيقال بالواو».

الفرق بين الرؤى والأحلام:

لا فرق بينهما في المعنىٰ اللغوي بحيث أن الرؤيا هي: ما يراه الإنسان في المنام، وهكذا الحلم هو: ما يراه الإنسان في المنام، وجمع الرؤيا رؤىٰ، وجمع الحلم أحلام.

---

(١) استفدت ونقلت في هذا المدخل من رسالةٍ بعنوان: [الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين] لـ سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي.

قال ابن منظور في [لسان العرب (١٢/ ١٤٥)]:

"الحلم والحلم: الرؤيا، والجمع أحلام، يقال: حلم إذا رأىٰ في المنام. يقال: حلم بالفتح، إذا رأىٰ وتحلم إذا ادعىٰ الرؤيا كاذبًا".

وقال الجوهري في [الصحاح (٥/ ١٩٠٣)]:

"الحلم بالضم: ما يراه النائم، تقول منه: حلم بالفتح واحتلم. وتقول: حلمت بكذا، وحلمته أيضًا".

فالحلم مرادف للرؤيا، ولكن غلب في الاصطلاح الشرعي استعمال الرؤيا في الخير والبشرىٰ والشيء الحسن، وغلب استعمال الحلم علىٰ خلاف ذلك.

يقول ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٣٤)]:

«الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا علىٰ ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم علىٰ ما يراه من الشر القبيح».

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر.

وهذا التفريق تفريق شرعي دل عليه أحاديث منها:

ما أخرجه الإمام البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ عن أبي قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثًا، وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لن تضره»(١).

وروى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب، رؤيا المؤمن ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة» وما كان من النبوة فإنه لا يكذب قال محمد: - وأنا أقول هذه - قال: وكان يقال: " الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله، فمن رأى شيئًا يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل " قال: " وكان يكره الغل في النوم، وكان يعجبهم القيد، ويقال: القيد ثبات في الدين"(٢).

فهذان الحديثان وغيرهما يؤيدان هذا التفريق، -أعني: أن الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان-.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/ ٣٦٩)]:

(١) صحيح البخاري (٦٩٨٤)، وصحيح مسلم (٢٢٦١).
(٢) صحيح البخاري (٧٠١٧).

"ظاهر قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» أن التي تضاف إلىٰ الله لا يقال لها: حلم والتي تضاف إلىٰ الشيطان لا يقال لها: رؤيا وهو تصرف شرعي وإلا فالكل يسمىٰ رؤيا".

ولهذا فإن من فقه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في [كتابه الصحيح -الجامع الصحيح المسند من أحاديث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه-] أنه في كتاب التعبير وضع باباً بعنوان: "الرؤيا من الله" وباباً آخر بعنوان: "الحلم من الشيطان" واستدل بحديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للتفريق بين الرؤيا والحلم.

إذن: بالنسبة للفرق اللغوي لا فرق بين الرؤيا والحلم، وإنما التفريق بينهما أن الرؤيا من الله والحلم الشيطان تفريق في الاصطلاح الشرعي، دل علىٰ ذلك الشرع كما سبق.

"ولعل الحكمة -والله أعلم- في نسبة الرؤيا إلىٰ الله، والحلم إلىٰ الشيطان، أن الله عز وجل كره أن يسمىٰ ما كان من الله وما كان من الشيطان باسمٍ واحدٍ، فشرع التفريق بين الحق والباطل، بأن جعل الرؤيا ما كان من الله، والحلم ما كان من الشيطان، لأنه الذي يخيل بها ولا حقيقة لها، فهي من إلقائه وتشويشاته وتلاعبه ووسوسته

وتحزينه للإنسان، كما دلت علىٰ ذلك الأحاديث الكثيرة في نسبتها إلىٰ الشيطان وبيان عداوته للإنسان"(١) .

الفرق بين الرؤيا والرؤية:

"الرؤيا مصدر رأىٰ، وهي مختصة بما يراه الإنسان في منامه، أما الرؤية فهي مصدر رأىٰ كذلك، إلا أنها مختصة بما يراه الإنسان في اليقظة.

قال الفيروز آبادي في [القاموس المحيط (١٦٥٨)]:

"الرؤية: النظر بالعين وبالقلب".

وقال الجوهري في [الصحاح (٦/ ٢٣٤٧)]:

الرؤية بالعين تتعدىٰ إلىٰ مفعولٍ واحدٍ، وبمعنىٰ العلم تتعدىٰ إلىٰ مفعولين، يقال رأىٰ زيداً عالماً، ورأىٰ رأيًا ورؤيةً".

وفرق بين الرؤيا والرؤية بتاء التأنيث مكان ألف التأنيث للفرق بين ما يراه النائم وما يراه اليقظان.

قال الزمخشري في [الكشاف (٢/ ٣٠٣) ط/ دار الفكر (١٣٩٩هـ)]:

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين.

"الرؤيا بمعنىٰ الرؤية، إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة، فلا جرم فرق بينهما بحرف التأنيث فيها مكان تاء التأنيث كما قيل في القربىٰ والقربة".

وقد تكون الرؤيا مصدر رأىٰ في اليقظة، وعلىٰ هذا تكون الرؤيا بمعنىٰ الرؤية في اليقظة، واستعمال الرؤيا بمعنىٰ رؤية العين ورد في القرآن الكريم وعن أهل اللغة وفي الشعر العربي.

فمن استعمال القرآن الكريم الرؤيا بمعنىٰ الرؤية قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الإسراء:٦٠]. فالمراد بالرؤيا في هذه الآية رؤية العين، وهي ما رآه النبي ﷺ ليلة أسري به من العجائب والآيات، وبذلك صرح حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بأنها رؤية عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، وعرج به إلىٰ السموات العلىٰ، فرأىٰ ما رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ، والإسراء كان يقظةً من أوله إلىٰ آخره –وسيأتي بيان ذلك في آخر هذا البحث–.

والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا.

وأما استعمال الرؤيا بمعنىٰ الرؤية في اليقظة في الشعر العربي فكثير، ومن ذلك بيت الراعي يصف فيه ضيفًا طرقه ليلًا فيقول:

فكـــبر للـــرؤيا وهـــش فـــؤاده وبشـــر نفسًـــا كـــان قبـــل يلومهـــا

وقول أبي الطيب المتنبي لبدر بن عمار، وقد سامره ذات ليلةٍ إلىٰ قطَعٍ من الليل:

مضـى الليـل والفضـل الـذي لـك لا ورؤياك أحلـى في العيـون مـن الغمـض

وقول أبي الفوارس سعد بن محمد بن صيفي:

لـو نيـل بالقـول مطلـوب لمـا حـرم الـرؤيا الكلـيم وكـان الحـظ للجبـل

وقد أنكر هذا الاستعمال الحريري في كتابه: [درة الغواص في أوهام الخواص]. وغلط أبا الطيب المتنبي في بيته السابق، بحجة أن الرؤيا إنما تختص بالمنام والرؤية باليقظة.

والأدلة السابقة من الكتاب والسنة وأقوال أهل اللغة والشعر العربي ترد علىٰ من قال: بأن الرؤيا مختصة بالمنام، بل الصواب أن الرؤيا كالرؤية غير أنه غلب استعمال الرؤيا في المنام، والله أعلم"(١) .

قلت: الذي يظهر –والله أعلم– أن الرؤيا والرؤية لا فرق بينهما، إلا أنه غلب في استعمال الرؤيا لما يراه الإنسان في المنام، وقد يأتي لفظ الرؤيا ويراد به الرؤية في اليقظة.

(١) نقلًا عن رسالة [الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين] –بتصرف–.

دلالات الرؤى المنامية:

دلالات الرؤىٰ هي الأمور التي ترشد إليها الرؤىٰ، وتدل عليها.

ودلالات الرؤىٰ كثيرة تفهم من خلال الرؤيا نفسها، وهنا أذكر للقارئ الكريم خمس دلالات، فمن أهم الدلالات التي تدل عليها الرؤىٰ المنامية:

١) -أولًا: الرؤيا الصالحة تدل على خير رائيها وصلاحه غالبًا:

روىٰ الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إن رجالا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يرون الرؤيا علىٰ عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما شاء الله، وأنا غلام حديث السن وبيتي في المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرىٰ هؤلاء. فلما اضطجعت ليلةً، قلت: اللهم إن كنت تعلم في خيرًا فأرني رؤيا، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان في يد كل واحدٍ منهما مقمعة من حديد يقبلان بي إلىٰ جهنم وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنم، ثم أراني لقيني ملك في يده مقمعة من حديد فقال: لن تراع، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة، فانطلقوا بي حتىٰ وقفوا بي علىٰ شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، له قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، ورأىٰ فيها رجالًا معلقين بالسلاسل، رءوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالاً من قريش: فانصرفوا بي ذات اليمين، فقصصتها علىٰ حفصة فقصتها حفصة علىٰ رسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان بعد لا ينام إلا قليلًا»(١).

٢) - ثانيًا: أنها تدل على تثبيت الله لعباده المؤمنين:

ويدل على ذلك رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم بدرٍ -كما سيأتي- وغيرها من الرؤى التي ثبت بها الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا قد يكون من أسباب ثبات المؤمن رؤيا صالحة يراها في منامه.

٣) - ثالثًا: منها ما تدل على بشارة من الله للعبد:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [سورة يونس].

فُسر قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾. بتفاسيرٍ منها: أنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، واستدل من فسرها بذلك بحديثٍ رواه الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ في [سننه (٢٢٧٣)] وغيره، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في [الصحيحة (١٧٨٦)]:

عن عطاء بن يسار عن رجلٍ من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قول الله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فقال: ما سألني عنها أحد

(١) صحيح البخاري باب الأمن وذهاب الروع في المنام (٧٠٢٨).

غيرك إلا رجل واحد منذ سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: "ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له". قال: وفي الباب عن عبادة بن الصامت قال: هذا حديث حسن.

٤) رابعًا: أنها قد تدل على اهتمام صاحبها بما يراه في المنام:

وهذا ملاحظ أن الإنسان إذا أكثر التفكير في أمرٍ ما، أو أهمه أمر، أو اهتم بأمرٍ فإنه قد يرى ذلك في منامه.

٥) - خامسًا: أن رؤى السوء تدل على تلاعب الشيطان بالإنسان:

أخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في [صحيحه (٢٢٦٨)]:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتددت على أثره، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأعرابي: «لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك».

وقال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد يخطب فقال: «لا يحدثن أحدكم بتلعب الشيطان به في منامه».

أنواع الرؤى المنامية:

للرؤى المنامية ثلاثة أنواع رئيسية، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، ومنها ما رواه البخاري ومسلم –وغيرهما– عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من خمسٍ وأربعين جزءًا من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزينٌ من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس»(١).

دل هذا الحديث وأمثاله على أن الرؤيا ثلاثة أنواع –أو أقسام–.

قال الإمام المفسر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في [شرح السنة (١٢/ ٢١١)]:

"وقوله: «الرؤيا ثلاثة» فيه بيان أن ليس كل ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحًا، ويجوز تعبيره، إنما الصحيح منها ما كان من الله عز وجل، يأتيك به ملك الرؤيا من نسخة أم الكتاب، وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها.

---

(١) صحيح البخاري (٧٠١٧)، وصحيح مسلم (٢٢٦٣) وقد جاء الحديث بألفاظٍ متقاربة عند جماعة من المحدثين منهم: الإمام عبد الرزاق الصنعاني، وأحمد بن حنبل، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم رَحِمَهُمُ اللَّهُ وغيرهم.
وأخرج ابن أبي شيبة، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه من حديث عوف ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».

وهي علىٰ أنواع منها ما قد يكون من فعل الشيطان يلعب بالإنسان، أو يريه ما يحزنه، وله مكايد يحزن بها بني آدم، كما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة المجادلة]. ومن لعب الشيطان به الاحتلام الذي يوجب الغسل، فلا يكون له تأويل.

وقد يكون ذلك من حديث النفس، كمن يكون في أمرٍ، أو حرفةٍ يرىٰ نفسه في ذلك الأمر، والعاشق يرىٰ معشوقه ونحو ذلك، فلا تأويل لشيء منها".

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [مدارج السالكين (١/ ٦٢)]:

"والرؤيا فيها رحماني، وفيها نفساني، وفيها شيطاني".

قلت: تبين مما سبق أن الرؤىٰ المنامية علىٰ ثلاثة أنواع:

١) - **النوع الأول:** رؤىٰ صالحة، وهي التي يراها الصالحون أو ترىٰ لهم، أو التي فيها بشارات، أو دلالات علىٰ خير، ولها علامات ودلالات وأقسام، -ليس هذا محل بسطها-.

٢) - **النوع الثاني:** رؤىٰ من أوهام النفس وأحاديثها، وهي مما يحدث به المرء نفسه، أو يهم به في يقظته، فيما يتعلق بأمر حياته، وهي رؤىٰ لا تسر كرؤىٰ الصالحين، ولا تحزن كمن يتلاعب به الشياطين.

٣) - **النوع الثالث:** الأحلام التي هي من تلاعب الشيطان بالإنسان، كالاحتلام، أو الكوابيس المفزعة، ونحو ذلك مما فيه تحزين وتخويف للإنسان.

أقسام الناس في الرؤى المنامية:

ليس كل الناس في الرؤى المنامية سواء، بل هم متفاوتون فيها، فالرائون للرؤى المنامية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام من حيث صدق رؤاهم وكذبها، وصلاحها وفسادها، وهنا أشير إلى تلك الأقسام الثلاثة -اختصارا-:

القسم الأول: الأنبياء عليهم السلام:

بالنسبة لرؤى الأنبياء عليهم السلام فإن رؤاهم كلها صدق، وحق، بل إن "رؤى الأنبياء عليهم السلام وحي"، وذلك لأن الله عصمهم من أن تتلاعب بهم الشياطين، أو أن يتمكنوا منهم، وأيضًا لأن الأنبياء عليهم السلام "تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم"، وقد أورد القرآن الكريم بعضًا من رؤى الأنبياء -كما هو موضوع هذا الكتاب- كرؤيا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورؤيا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورؤى لنبينا محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القسم الثاني: الصالحون:

وأما بالنسبة للصالحين فإن الغالب على رؤاهم الصدق والتبشير بالخير ونحو ذلك، لما فيهم من الخير والصلاح، ولما يقومون به من العبادات والطاعات، ولقلة

تمكن الشياطين منهم، ولتعاملهم بالصدق في اليقظة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا»(١).

وهي رؤىٰ لا يقطع بصحتها إلا بعد ظهورها، ووقوع تأويلها، -بخلاف رؤىٰ الأنبياء عليهم السلام فإنها حق ووحي-.

والصالحون متفاوتون في الصلاح فليسوا كلهم سواء، فمنهم من بلغ ذروة الصلاح، ومنهم من هو دون ذلك.

وقد يرىٰ الصالح رؤىٰ مما تحدثه به نفسه، وقد يتلاعب به الشيطان أحيانًا -والله أعلم-.

القسم الثالث: عامة الناس:

أما عامة الناس فإن رؤاهم منها ما تكون صالحةً، ومنها ما تكون من تلاعب الشيطان، ومنها ما تكون من أحاديث وأوهام النفس، والغالب علىٰ رؤىٰ عامة الناس أنها تكون مما تتحدث به أنفسهم لانشغالهم بالدنيا، وقلة العبادات التي يقومون بها، وأيضًا تكثر فيهم الرؤىٰ التي تكون من تهويل الشياطين وتلاعبهم وتخويفهم للناس.

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٢٦٣).

مسألة: في رؤى الكفار:

أما رؤىٰ الكفار وأهل الشرك فإن الغالب عليها أنها أضغاث أحلام، وتهاويل من الشياطين، لتسلط الشياطين عليهم، وتمكنهم منهم.

وقد تصدق رؤيا الكافر أحيانًا، كرؤيا ملك مصر وتعبير يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لها ووقوع ذلك، وغيرها من الرؤىٰ -والله أعلم-.

أخي القارئ الكريم: هذه رؤوس أقلام أشرت إليها في هذا المدخل المختصر، ليستفيد منها القارئ والمطلع في هذا الباب، ومسائل الرؤىٰ كثيرة، وفي ذلك رسائل ومؤلفات يرجع إليها.

والآن آن أن نأتي إلىٰ ذكر الرؤىٰ المنامية في القرآن الكريم.

رؤيا خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

إبراهيم عليه السلام خليل الله وإمام التوحيد وأفضل الأنبياء والرسل بعد نبينا محمد ﷺ، بعثه الله إلىٰ قومه ليدعوهم إلىٰ التوحيد ونبذ الشرك، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فكذبوه وعاندوا وردوا ما جاء به إبراهيم عليه السلام من الحق والصدق، ولما رأىٰ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الدعوة القولية لم تنفع مع قومه، قام بالدعوة الفعلية ليظهر لهم ما هم عليه من الخطأ والضلال، وذلك بأن قام بتحطيم أصنامهم وتكسيرها كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الأنبياء].

بين لهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنهم علىٰ خطأٍ وضلالٍ وانحرافٍ بالقول والفعل، إلا أنهم أصروا علىٰ ما هم عليه من الشرك وعبادة الأصنام مع علمهم أنها لا تملك لهم ضرًا ولا نفعًا، بل لا تستطيع الدفاع عن نفسها فكيف بغيرها؟!. ولكنه العناد واتباع الهوىٰ والشيطان.

بعد ذلك أجمعوا على أن يقتلوا إبراهيم عليه السلام بطريقةٍ مليئةٍ بالحقد والخبث: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الأنبياء:٦٨]. فجمعوا حطبًا كثيرًا، وأوقدوا ناراً عظيمةً حتى قيل: أنه لو مر طيرٌ على سماء تلك النار لخر مشويًا لشدة حرارتها، وألقوا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في تلك النار، فنجاه الله منهم ومن نارهم ورد كيدهم عليهم وقال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الأنبياء].

فعندئذٍ هاجر إبراهيم عليه السلام... وقصة إبراهيم عليه السلام معروفة ومعلومة ومشهورة... وفيها: أن هاجر ولدت له إسماعيل عليه السلام فغارت أمنا سارة فاضطر إبراهيم عليه السلام أن يخرج بأمنا هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام فاتجهوا نحو مكة، ويكمل لنا القصة ابن عباس رضي الله عنه فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان، خرج بإسماعيل وأم إسماعيل، ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة، فيدر لبنها على صبيها، حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل، حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله، قالت: رضيت بالله، قال: فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها، حتى لما فني الماء، قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا، قال فذهبت فصعدت الصفا فنظرت، ونظرت هل تحس أحدًا، فلم تحس أحدًا، فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة، ففعلت ذلك أشواطًا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، تعني الصبي، فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت، فلم تقرها نفسها، فقالت:

لو ذهبت فنظرت، لعلي أحس أحدًا، فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت فلم تحس أحدًا، حتىٰ أتمت سبعًا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا جبريل، قال: فقال بعقبه هكذا، وغمز عقبه علىٰ الأرض، قال: فانبثق الماء، فدهشت أم إسماعيل، فجعلت تحفز، قال: فقال أبو القاسم ﷺ: «لو تركته كان الماء ظاهرًا». قال: فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها علىٰ صبيها، قال: فمر ناس من جرهم ببطن الوادي، فإذا هم بطيرٍ، كأنهم أنكروا ذاك، وقالوا: ما يكون الطير إلا علىٰ ماء، فبعثوا رسولهم فنظر فإذا هم بالماء، فأتاهم فأخبرهم، فأتوا إليها فقالوا: يا أم إسماعيل، أتأذنين لنا أن نكون معك، أو نسكن معك، فبلغ ابنها فنكح فيهم امرأة، قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إني مطلع تركتي، قال: فجاء فسلم، فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، قال: قولي له إذا جاء غير عتبة بابك، فلما جاء أخبرته، قال: أنت ذاك، فاذهبي إلىٰ أهلك، قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إني مطلع تركتي، قال: فجاء، فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب، فقال: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، قال: فقال أبو القاسم ﷺ: «بركة بدعوة إبراهيم صلىٰ الله عليهما وسلم» قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إني مطلع تركتي، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلًا له، فقال: يا إسماعيل، إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا، قال: أطع ربك، قال: إنه قد أمرني أن تعينني عليه، قال: إذن أفعل، أو كما قال: قال فقاما فجعل إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٢٧]. قال: حتىٰ ارتفع البناء، وضعف الشيخ عن نقل الحجارة، فقام علىٰ حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾" رواه الإمام البخاري(١) .

ثم إن إبراهيم عليه السلام رأىٰ رؤيا في منامه ذكرها الله سبحانه وتعالىٰ في القرآن الكريم وهي:

الرؤيا الإبراهيمية:

أولا: معلوم أن رؤىٰ الأنبياء عليهم السلام وحي من عند الله –وقد تقدم الإشارة إلىٰ ذلك– فقد جاء عن عبيد بن عمير قال: إن رؤيا الأنبياء وحي ثم قرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [سورة الصافات:١٠٢]. أخرجه البخاري(٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «رؤيا الأنبياء وحي» رواه الطبراني وصححه الألباني(٣) .

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٨٥٩).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٢٣٠٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٤٦٣).

فرؤىٰ الأنبياء عليهم السلام نوع من أنواع الوحي، فهي حق وصدق، ليست كرؤىٰ بقية الناس.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: [إكمال المعلم بفوائد مسلم] (١/ ٤٧٩)

"وأن رؤيا الأنبياء وحي، وحق صدق، لا أضغاث فيها، ولا سبيل للشيطان إليها".

وقال العلامة المفسر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: [أحكام القرآن (ط التراث) (٤/ ٢٩)]:

"ورؤيا الأنبياء وحي، حسبما بيناه في كتب الأصول وشرح الحديث؛ لأن الأنبياء ليس للشيطان عليهم في التخييل سبيل، ولا للاختلاط عليهم دليل؛ وإنما قلوبهم صافية، وأفكارهم صقيلة، فما ألقي إليهم، ونفث به الملك في روعهم، وضرب المثل له عليهم فهو حق؛ ولذلك قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: "وما كنت أظن أنه ينزل في قرآن يتلىٰ، ولكن رجوت أن يرىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤيا يبرئني الله بها".

ولما أن كان الأمر كذلك أراد الله عز وجل أن يختبر ويبتلي خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بابتلاءٍ عظيمٍ واختبارٍ كبيرٍ وهو: أن أوحىٰ الله إلىٰ خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن طريق رؤيا منامية رءاها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومضمون هذه الرؤيا أن الله أوحىٰ إليه أن يذبح ولده إسماعيل

عليه السلام قربانًا لله، قال الله تعالىٰ عن هذه الرؤيا: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [سورة الصافات:١٠٢].

هنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبر ابنه إسماعيل ويحدثه أنه رأىٰ في منامه أن يذبحه قربانًا لله، إشارةً إلىٰ أن ذلك وحي من الله لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يجب عليه تنفيذه.

ثم إن إبراهيم عليه السلام يشاور ابنه في هذه الرؤيا وتنفيذ الأمر فيها بقوله له: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [سورة الصافات:١٠٢].

فما كان من إسماعيل عليه السلام إلا أن استجاب مباشرةً لأمر الله دون تردد أو خوف من الموت، ما دام أن الأمر أمر الله، والروح ستسلم لله، وفي سبيل طاعة الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [سورة الصافات:١٠٢].

تسليمٌ كامل لأمر الله وطاعة تامة للأب، لم يعترض ويقول: إنما هي رؤيا ولست لأقدم روحي من أجل رؤيا رءاها أبي في منامه، بل كان رده ردًا بين فيه مدىٰ تسليمه الكامل لأمر الله، وبره العظيم بأبيه.

وقفات مع الرؤيا الرؤيا الإبراهيمية:

الوقفة الأولى: تفسير الآيات المتعلقة بالرؤيا الإبراهيمية

النص القرآني للآيات الكريمة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١﴾ [سورة الصافات].

تفسيرها:

وهنا أنقل للقارئ الكريم ما يتعلق بتفسير الآيات الكريمة التي تحدثت عن رؤيا خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -من تفسير الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

قال الإمام المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره [تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٠٦)]:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾ الغلام ﴿مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ أي: قد رأيت في النوم والرؤيا، أن الله

يأمرني بذبحك، ورؤيا الأنبياء وحي ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ فإن أمر الله تعالىٰ، لا بد من تنفيذه، ﴿قَالَ﴾ إسماعيل صابرًا محتسبًا، مرضيًا لربه، وبارًا بوالده: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ أي: امضِ لما أمرك الله ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ أخبر أباه أنه موطن نفسه علىٰ الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالىٰ، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالىٰ. ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازمًا بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالاً لأمر ربه، وخوفًا من عقابه، والابن قد وطن نفسه علىٰ الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه، ورضا والده، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ أي: تل إبراهيمُ إسماعيلَ علىٰ جبينه، ليُضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه، لئلا ينظر وقت الذبح إلىٰ وجهه.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ في تلك الحال المزعجة، والأمر المدهش: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ أي: قد فعلت ما أمرت به، فإنك وطنت نفسك علىٰ ذلك، وفعلت كل سبب، ولم يبق إلا إمرار السكين علىٰ حلقه ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ في عبادتنا، المقدمين رضانا علىٰ شهوات أنفسهم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي امتحنا به إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ أي: الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال محبته لربه وخلته، فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه حبا شديدًا، وهو خليل الرحمن، والخلة أعلىٰ أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالىٰ أن يصفي وده

ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه، فلما قدم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: صار بدله ذِبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيمًا من جهة أنه كان فداءً لإسماعيل، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قربانًا وسنةً إلى يوم القيامة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ أي: وأبقينا عليه ثناءً صادقًا في الآخرين، كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنه فيه محبوب معظم مثني عليه.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ أي: تحيته عليه كقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ في عبادة الله، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ بما أمر الله بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الأنعام:٧٥].

الوقفة الثانية: من هو الذبيح؟

أولاً: اختلف في من هو الذبيح اختلافًا كثيرًا فقال جماعة: أن الذبيح هو إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال الآخرون: هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال الإمام السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره (٤/ ٤٠٧)]:

"واختلفوا أن هذا الغلام كان إسماعيل أو إسحاق.

فذهب قومٌ إلىٰ أنه إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو قول علي وابن مسعود وكعب وقتادة وجماعة، وذهب جماعةٌ إلىٰ أنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو مرويٌ عن ابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن وغيرهم".

وقال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره [مفاتيح الغيب ـ ط العلمية (٢٦/ ١٣٣)]:

"اختلفوا في هذا الذبيح من هو فقيل: إنه إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذ قول عمر وعلي والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقيل: إنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ".

ثانيًا: المسألة ليست من مسائل الأحكام، ولا من أصول الدين فالاختلاف فيها لا يضر، قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ في [أحكام القرآن (٤/ ٢٩)]:

"اختلف في الذبيح: هل هو إسحاق أو إسماعيل؟ وقد اختلف الناس فيه اختلافًا كثيرًا قد بيناه في مسألة تبيين الصحيح في تعيين الذبيح، وليست المسألة من الأحكام ولا من أصول الدين؛ وإنما هي من محاسن الشريعة وتوابعها ومتمماتها لا أمهاتها".

ثالثًا: ذكر أقوال بعض العلماء وترجيحاتهم في مسألة من هو الذبيح.

أ. ذكر قول بعض من قال بأن الذبيح هو إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال الإمام أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ في [البحر المحيط في التفسير (٩/ ١١٩)]:

"وذهبت جماعةٌ إلىٰ أن الذبيح هو إسحاق، منهم: العباس بن عبد المطلب، وابن مسعود، وعلي، وعطاء، وعكرمة، وكعب، وعبيد بن عمير، وابن عباس في رواية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"

وقال الإمام المفسر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في [الجامع لأحكام القرآن =تفسير القرطبي (١٥/ ٩٩)]:

"واختلف العلماء في المأمور بذبحه:

فقال أكثرهم: الذبيح إسحاق. وممن قال بذلك العباس بن عبدالمطلب وابنه عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو الصحيح عنه. روىٰ الثوري وابن جريج يرفعانه إلىٰ ابن عباس قال: الذبيح إسحاق. وهو الصحيح عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً قال له: يا ابن الأشياخ الكرام. فقال عبدالله: ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن

إبراهيم خليل الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد روىٰ حماد بن زيد يرفعه إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلىٰ الله عليهم وسلم".

وروىٰ أبو الزبير عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الذبيح إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ. وذلك مروي أيضًا عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن الذبيح إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهو قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فهؤلاء سبعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وقال به من التابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الأحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل وعبدالرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبدالله بن أبي الهذيل ومالك بن أنس رَحِمَهُمُ اللَّهُ، كلهم قالوا: الذبيح إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ. وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارىٰ، واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما. قال سعيد بن جبير: أري إبراهيم ذبح إسحاق في المنام، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة، حتىٰ أتىٰ به المنحر من منىٰ؛ فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه، وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الأودية والجبال. وهذا القول أقوىٰ في النقل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ".

واحتج من قال أن الذبيح هو إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمور:

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في [الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٠١):

"واحتجوا بأن الله عز وجل قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه، فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الصافات:٩٩] أنه دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة الصافات:١٠٠] فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [سورة مريم:٤٩].

ولأن الله قال: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة الصافات:١٠٧] فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بشره به إبراهيم وإنما بشر بإسحاق؛ لأنه قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة الصافات:١١٢]، وقال هنا: ﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الصافات:١٠١] وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل، وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق".

ب. ذكر قول بعض من قال أن الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ في [البحر المحيط في التفسير (٩/ ١١٩)]:

"﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة الصافات:١١٢]: الظاهر أن هذه بشارة غير تلك البشارة، وأن الغلام الحليم المبشر به إبراهيم هو إسماعيل، وأنه هو الذبيح لا إسحاق وهو قول ابن عباس، وابن عمر، ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومحمد بن كعب القرظي، والشعبي، والحسن، ومجاهد، وجماعة من التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ

واستدلوا بظاهر هذه الآيات، وبقوله عليه الصلاة والسلام: "أنا ابن الذبيحين"، وقول الأعرابي له: يا ابن الذبيحين، فتبسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني إسماعيل، وأباه عبد الله".

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في [الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٠٠)]:

"وقال آخرون: هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ. وممن قال ذلك أبو هريرة وأبو الطفيل عامر بن واثلة. وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن التابعين سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وسئل أبو سعيد الضرير عن الذبيح فأنشد:

إن الذبيح هديت إسماعيلُ ... نطق الكتابُ بذاك والتنزيلُ
شرفٌ به خص الإله نبينا ... وأتى به التفسيرُ والتأويلُ
إن كنت أمته فلا تنكر له ... شرفًا به قد خصه التفضيلُ

وعن الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سألت أبا عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللَّهُ عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك! ومتىٰ كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنىٰ البيت مع أبيه والمنحر بمكة".

وقال الإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في [التفسير (٤/ ٢٣)]:

"وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: المفدىٰ إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وزعمت اليهود أنه إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ وكذبت اليهود، وقال: إسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: الذبيح إسماعيل وقال: ابن أبي نجيح عن مجاهد هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكذا قال: يوسف بن مهران وقال: الشعبي هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة. وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: ابن إسحاق وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول: إن الذي أمر الله تعالىٰ إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل وإنا لنجد ذلك في كتاب الله تعالىٰ وذلك أن الله تعالىٰ حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة الصافات:١١٢] ويقول الله تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة هود:٧١] يقول: بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل قال ابن إسحاق: سمعته يقول ذلك كثيرًا، وقال: ابن إسحاق: عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلىٰ رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرىٰ أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ذلك قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: أي: ابني إبراهيم أمر بذبحه

فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب علىٰ أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالىٰ منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لكون إسحاق أباهم والله أعلم أيهما كان، وكل قد كان طاهرًا طيبًا مطيعًا لله عَزَّوَجَلَّ. وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت أبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فقال إسماعيل. ذكره في كتاب الزهد.

وقال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام، قال: وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنهم قالوا: الذبيح إسماعيل. وقال البغوي في تفسيره: وإليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاه أيضا عن أبي عمرو بن العلاء وقد روىٰ ابن جرير في ذلك حديثًا غريبًا فقال: حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق فقال علىٰ الخبير سقطتم: كنا عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم علىٰ عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد ابنك بمائةٍ من الإبل ففداه بمائةٍ من الإبلِ والثاني إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهذا حديثٌ غريب جدًا وقد رواه الأموي في مغازيه... إلخ.

حجة من قال بأن الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ في [مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٣٤٧)]:

"واحتج القائلون بأنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بوجوه:

الأول: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أنا ابن الذبيحين»(١).

وقال له أعرابي: «يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال: إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحنَّ أحد ولده، فخرج السهم علىٰ عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ابنك بمائةٍ من الإبلِ، ففداه بمائةٍ من الإبلِ، والذبيح الثاني إسماعيل»(٢).

---

(١) الحديث لا أصل له بهذا اللفظ، أنظر: "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة" (١/ ٥٠٠) (٣٣١).

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" (٢٣/ ٨٥) وفي "تاريخه" (١/ ٢٦٣ - ٢٦٤) وغيره، وهو ضعيف -والله أعلم-.

الحجة الثانية: نقل عن الأصمعي أنه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عقلك، ومتىٰ كان إسحاق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذي بنىٰ البيت مع أبيه والمنحر بمكة؟.

الحجة الثالثة: أن الله تعالىٰ وصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٥] وهو صبره علىٰ الذبح، ووصفه أيضا بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [سورة مريم:٥٤] لأنه وعد أباه من نفسه الصبر علىٰ الذبح فوفىٰ به.

الحجة الرابعة: قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة هود:٧١] فنقول: لو كان الذبيح إسحاق لكان الأمر بذبحه إما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه، أو بعد ذلك، فالأول: باطل لأنه تعالىٰ لما بشرها بإسحاق، وبشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه، وإلا حصل الخلف في قوله: ومن وراء إسحاق يعقوب والثاني: باطل لأن قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [سورة الصافات:١٠٢] يدل علىٰ أن ذلك الابن لما قدر علىٰ السعي ووصل إلىٰ حد القدرة علىٰ الفعل أمر الله تعالىٰ إبراهيم بذبحه، وذلك ينافي وقوع هذه القصة في زمان آخر، فثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح هو إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الحجة الخامسة: حكىٰ الله تعالىٰ عنه أنه قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الصافات:٩٩] ثم طلب من الله تعالىٰ ولدًا يستأنس به في غربته فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة الصافات:١٠٠] وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد، لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد، لأن طلب الحاصل محال وقوله: ﴿هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد، وكلمة من للتبعيض وأقل درجات البعضية الواحد فكأن قوله: ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد فثبت أن هذا السؤال لا يحسن إلا عند عدم كل الأولاد فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول، وأجمع الناس علىٰ أن إسماعيل متقدم في الوجود علىٰ إسحاق، فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء وهو إسماعيل، ثم إن الله تعالىٰ ذكر عقيبه قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل.

الحجة السادسة: الأخبار الكثيرة في تعليق قرن الكبش بالكعبة، فكان الذبيح بمكة. ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح بالشام".

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٠١)]:

"احتج من قال إنه إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: بأن الله تعالىٰ وصفه بالصبر دون إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٥] وهو صبره علىٰ الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [سورة مريم:٥٤]؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر علىٰ الذبح فوفىٰ به؛ ولأن

الله تعالىٰ قال: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا﴾[سورة الصافات:١١٢] فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبيا، وأيضا فإن الله تعالىٰ قال: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [سورة هود:٧١] فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب. وأيضًا ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة، فدل علىٰ أن الذبيح إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ولو كان إسحاق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لكان الذبح يقع ببيت المقدس".

الراجح في مسألة من هو الذبيح:

قلت: الخلاف في هذه المسألة كبير، والكلام فيها كثير، ويكفي من الأقوال ما تقدم ذكرها، لأننا لو أكثرنا لطال الكتاب، لكثرة الكلام الوارد في المسألة، وهنا أذكر ما رجحه الإمام الحافظ ابن كثير، والإمام ابن القيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ وهما من كبار أهل العلم:

قال الإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [في تفسيره]:

"وقد ذهب جماعةٌ من أهل العلم إلىٰ أن الذبيح هو إسحاق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وحكي ذلك عن طائفة من السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ حتىٰ يقال عن بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وليس في ذلك كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأُخذ مسلمًا من غير حجة، وكتاب الله شاهد ومرشد إلىٰ أنه إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، وقال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾ [سورة الصافات:١١٢]".

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [زاد المعاد في هدي خير العباد] (١/ ٧١):

"وإسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فباطل بأكثر من عشرين وجهًا، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: هذا القول -أن الذبيح إسحاق- إنما هو متلقى من أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم. فإن فيه أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيده، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده. والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم اذبح بكرك ووحيدك، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف... ثم قال: وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: ﴿ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ [سورة هود]. فمحال أن يبشرها بأنه يولد له ولد ثم يأمر بذبحه".

فائدة: أين كان موضع الذبح؟

من خلال تتبع أقوال أهل العلم واستقرائها في مسألة الذبيح يتبين منها أن من قال: أن الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن موضع الذبح كان بمكة، وأن من قال: أن الذبيح هو إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن موضع الذبح كان بالشام، والأول أظهر لأن قول من

قال: أن الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الذي رجحه كبار علماء الإسلام –كما تقدم– لقوة حججهم في ذلك وردهم علىٰ من قال بخلاف هذا القول –والله أعلم–.

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في [مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٣٤٨)]:

"واعلم أنه يتفرع علىٰ ما ذكرنا اختلافهم في موضع الذبح، فالذين قالوا: الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قالوا: كان الذبح بمنىٰ، والذين قالوا: إنه إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قالوا: هو بالشام وقيل: ببيت المقدس، –والله أعلم–".

الوقفة الثالثة: فوائد من الرؤيا الإبراهيمية

نستفيد من الرؤيا الإبراهيمة عدة فوائد منها:

- أن أشد الناس بلاءً هم الأنبياء، كما ذكر ذلك في الحديث، فهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ابتلي بالنار فسلم، ثم ابتلي بالنمرود فسلم ابتلاه الله بأمره إياه بذبح فلذة كبده.
- أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي، وذلك كما تقدم الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأيضًا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد وعزم أن ينفذه ما أره الله به في المنام.
- استجابة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه وتسليمه الكامل لأمر الله برغم عظم الأمر، (وهو ذبح الولد).
- استجابة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لأمر الله وتسليمه التسليم الكامل لله بدون تردد ولا تفكير.
- بر إسماعيل بأبيه وذلك أنه لم يعاند، أو يتهرب مما أراده منه أبوه، وذلك بأن يذبحه قربانًا لله، وتنفيذًا لأمر الله.
- ذكر الله لنا في القرآن الكريم أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بارًا بأبيه رغم أنه كان كافرًا، فكان الجزاء أن أكرمه الله بابنٍ بار في غاية البر.
- أن الله يبتلي عباده ويختبرهم، ليعلم صدقهم وإخلاصهم له، فإذا ظهر ذلك منهم أمدهم بالفرج بعد الشدة التي ابتلاهم بها كما ابتلى إبراهيم

وابنه إسماعيل عليهما السلام ثم فرج عنهما وذلك بأن فدي إسماعيل بذبح عظيم.

والفوائد التي تستفاد من رؤيا خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ذبح إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كثيرة، تستفاد من خلال تدبر الآيات، والمرور عليها بتمعن، والاطلاع على تفاسيرها.

رؤيا الكريم بن الكريم بن الكريم بن الخليل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

جعل الله قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أحسن القصص، وأروعها، وأجملها، بل لحسنها وجمالها ولما فيها من الفوائد والعبر أفردها الله ﷻ في القرآن الكريم، وجعل لها سورةً خاصةً بها (سورة يوسف) في (١١١) آية، تحدثت هذه السورة الكريمة عن قصة يوسف عليه السلام مع أبيه وإخوته، وما حصل ليوسف من المعاناة إلى أن أصبح عزيز مصر ومكن له في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة يوسف:٥٦].

حيثُ تبدأ هذه القصة الكريمة برؤيا منامية رآها يوسف عليه السلام ودارات بعدها أحداث كثيرة، وانتهت القصة بتأويل تلك الرؤيا.

ولنختصر الأمر ونتحدث حول موضوعنا الذي هو رؤيا النبي الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليه السلام:

الرؤيا اليوسفية:

قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى متحدثًا عن أول أحداث قصة يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة يوسف:٤].

هذه هي الرؤيا -يا كرام-، يوسف عليه السلام أخبر أباه يعقوب عليه السلام أنه رأى في منامه أحد عشر كوكبًا من كواكب السماء، ومعهن الشمس والقمر سجدوا ليوسف عليه السلام تحيةً وإجلالًا وتكريمًا واحترامًا.

قال ابن حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره [البحر المحيط في التفسير (٦/ ٢٨٣)]:

"والسجود: سجود كرامة، كما سجدت الملائكة لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وقيل: كان في ذلك الوقت السجود تحية بعضهم لبعض" .

ففهم يعقوب عليه السلام أن هذه الرؤيا تحمل أمرًا عظيمًا ليوسف عليه السلام، وأنه سيكون له شأن، ومعلوم أن يوسف عليه السلام كان ذا جمالٍ عظيمٍ وكان محبوبًا عند أبيه، فعندئذ قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾ [سورة يوسف].

وقفات مع الرؤيا اليوسفية:

الوقفة الأولى: تفسير الآيات الكريمة

النص القرآني للآيات الكريمة:

قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة يوسف].

تفسيرها:

قال الإمام السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره(٣/ ٧)]:

"قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ معناه: اذكر إذ قال يوسف لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ قُرئ بقراءتين: " يا أبتِ" و "يا أبتَ" بالكسر والفتح؛ أما بالكسر فالأصل: "يا أبتي" ثم حذف الياء واجتزئ بالكسرة. وأما بالفتح: فالأصل: " يا أبتا" ثم أسقط الألف واكتفي بالنصب. قال الأعشىٰ:

فيـــا أبتـــا لا تـــزل عنـــدنا ... فـــإنا نخـــاف بأن نخـــترم

وقوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ في القصة: أن يوسف كان له اثنتا عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا. وقد قيل غير ذلك، والله أعلم.

وروي (أنه رأى هذه) الرؤيا ليلة الجمعة ليلة القدر.

وقوله ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ يعني: أحد عشر نجمًا من نجوم السماء، وكان المراد منها إخوته، وكانوا أحد عشر رجلًا، يستضاء بهم كما يستضاء بالكواكب.

وقوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ تأويل الشمس: أبوه، وتأويل القمر: أمه. هكذا قال قتادة وغيره. وقال بعضهم: كانت أمه في الموتى، وهذه خالته راحيل. وقال ابن جريج: القمر: أبوه، والشمس: أمه؛ لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكر.

وقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾ قال بعضهم: عندي ساجدين لله. والأصح: أنهم سجدوا له تحية وكرامة. فإن قال قائل: (قد قال): ﴿سَاجِدِينَ﴾ ولم يقل: "ساجدات " وحق العربية في النجوم أن يقال: "ساجدات ".

الجواب: أن الله تعالى لما أخبر عنهم بفعل من يعقل وهو السجود ألحقهم بمن يعقل في إعراب الكلام فقال: ساجدين، ولم يقل: " ساجدات " بهذا.

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ قال أهل التفسير: إن رؤيا الأنبياء وحي، فعلم يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن الإخوة لو سمعوا بهذه الرؤيا عرفوا أنها حق فيحسدونه فأمره بالكتمان لهذا المعنىٰ.

وقوله: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ معناه: فيحتالوا لك حيلة. ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ ومعناه: إن الشيطان يزين لهم ذلك ويحملهم عليه لعداوته، للعداوة القديمة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ معناه: وكما رفع منزلتك وأراك هذه الرؤيا فكذلك يجتبيك أي: يصطفيك ربك. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ تأويل [ما تؤول إليه عاقبة أمره] . وأكثر المفسرين علىٰ أن المراد من هذا علم التعبير وما تؤول إليه الرؤيا، قالوا: وكان يوسف أعلم الناس بالرؤيا وأعبرهم لها.

وقوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ يعني: يجعلك نبيًا، وذلك تمام النعمة علىٰ الأنبياء ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ وعلىٰ أولاد يعقوب؛ فإن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء.

وقوله: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ يعني: كما جعلهما نبيين من قبل كذلك يجعلك نبيا.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾ ظاهر المعنىٰ.

وقد قيل: إن المراد من تمام النعمة علىٰ إبراهيم: هو إنجاؤه من النار، والمراد من تمام النعمة علىٰ إسحاق: هو إنجاؤه من الذبح. وهذا قول مشهور. وذكر الحسن البصري: أنه كان بين هذه الرؤيا وبين هذا القول وبين تحقيقها، ثمانون سنة. وذكر عبد الله بن شداد: أنه كان بينهما أربعون سنة. وهذا أشهر القولين".

وقال الإمام المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٣)]:

فقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الارتفاع في الدنيا والآخرة.

وهكذا إذا أراد الله أمرًا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئةً له، وتسهيلاً لأمره، واستعدادا لما يرد علىٰ العبد من المشاق، لطفًا بعبده، وإحسانًا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنتقل به الأحوال إلىٰ أن يصير إلىٰ حالٍ يخضعون له، ويسجدون له إكرامًا وإعظامًا، وأن ذلك لا يكون إلا بأسبابٍ تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض.

وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعًا له فيها، ولهذا قال: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾ [سورة يوسف].

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أي: يصطفيك ويختارك بما يمن به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ أي: من تعبير الرؤيا، وبيان ما تؤول إليه الأحاديث الصادقة، كالكتب السماوية ونحوها، ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ حيث أنعم الله عليهما، بنعم عظيمة واسعة، دينية، ودنيوية.﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾ أي: علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضمائر العباد من البر وغيره، فيعطي كلا ما تقتضيه حكمته وحمده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها.

ولما بان تعبيرها ليوسف، قال لـه أبـوه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ أي: حسداً من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف علـيهم. ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ لا يفـتر عنـه لـيلًا ولا نهـارًا، ولا سـرًا ولا

جهارًا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها علىٰ العبد أولىٰ، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم.

ثم ذكر ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما حصل ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مع إخوته، وذلك بأن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يحب يوسف حبًا كبيرًا، فحسده إخوته علىٰ ذلك، فاحتالوا علىٰ يعقوب ويوسف وذلك بأن طلبوا من أبيهم أن يرسل أخاهم يوسف معهم إلىٰ المرعىٰ... وحصل بعد ذلك ما حصل مما هو معلوم.

الوقفة الثانية: تأويل الرؤيا اليوسفية

بعد الأحداث التي دارت مع يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابتداءً من أخذه بالحيلة من قبل إخوته إلىٰ المرعىٰ، ثم وضعه في الجب، ثم إخراجه... ثم بيعه بثمنٍ بخسٍ، ثم ما حصل له في بيت العزيز من مراودةِ امرأة العزيز له...إلىٰ أن سُجن ولبث في السجن مدةً من الزمن، ثم أُخرج من السجن ليُصبح علىٰ خزائن مصر، ثم مجيء إخوته إليه وهم لا يعرفونه، ثم ما حصل له مع إخوته مما هو مذكور في القرآنِ الكريم، ثم بعد أن عرفه إخوته واعتذروا له، ثم بعد ذلك أرسل إلىٰ أبيه بقميصه ليلقيه علىٰ وجهه كي يرتد بصيرًا بقدرة الله ومن يأتي به وببقية أهله إليه، فلما حضروا بين يديه أتىٰ تأويل رؤيا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك بأن خروا له سجدًا، سجود تكريمٍ وتحيةٍ وإجلالٍ، لا سجود عبادة.

كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة يوسف].

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في [تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٥)]:

أي: "﴿فَلَمَّا﴾ تجهز يعقوب وأولاده وأهلهم أجمعون، وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلىٰ يوسف في مصر وسكناها، فلما وصلوا إليه و﴿دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ أي: ضمهما إليه، واختصهما بقربه، وأبدىٰ لهما من البر والإكرام والتبجيل والإعظام شيئًا عظيمًا، ﴿وَقَالَ﴾ لجميع أهله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾ من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: علىٰ سرير الملك، ومجلس العزيز، ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ أي: أبوه، وأمه وإخوته، سجودًا علىٰ وجه التعظيم والتبجيل والإكرام، ﴿وَقَالَ﴾ لما رأىٰ هذه الحال، ورأىٰ سجودهم له: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ﴾ حين رأىٰ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ فلم يجعلها أضغاث أحلام.

﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ إحسانًا جسيمًا ﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ وهذا من لطفه وحسن خطابه عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي.

فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: "أحسن بكم" بل قال: ﴿أَحْسَنَ بِىٓ﴾ جعل الإحسان عائداً إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ فلم يقل "نزغ الشيطان إخوتي" بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزىٰ الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة. ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ يوصل بره وإحسانه إلىٰ العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلىٰ المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه الأمور إلىٰ أوقاتها المقدرة لها".

فيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما رأىٰ أباه وأمه وإخوانه سجدوا له، احترامًا وإكرامًا، تذكر الرؤيا التي رآها قبل زمن وأخبر بها أباه، وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ أي: يا أبت هذه رؤياي التي رأيتها في منامي في الصغر، وهي أنه رأىٰ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، فكان تأويل رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أحداثٍ دارت عليه في حياته، ثم تحققت الرؤيا، بأن سجدوا له كما في الرؤيا، وكان تأويل الكواكب إخوته، والشمس أمه، والقمر أبوه.

الوقفة الثالثة: مسائل متعلقة بالرؤيا اليوسفية

ذكر بعض المفسرين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ مسائل وأخبار كثيرة متعلقة بقصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، منها بل أكثرها من الإسرائيليات التي ليس عليها دليل صحيح، أذكر أهم ما ذكر في هذا الباب:

مسألة: عمر يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين رأى الرؤيا

ذكر جماعة من المفسرين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ما قاله وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكان يوسف رأىٰ وهو ابن سبع سنين، أن احدىٰ عشرة عصًا طوالًا كانت مركوزةً في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة ثبتت عليها حتىٰ اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه، فقال له: إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأىٰ وهو ابن اثني عشرة سنة أن أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر سجدن له فقصها علىٰ أبيه فقال له: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ﴾ فيبغوا لك الغوائل ويحتالوا في إهلاكك، لأنهم يعلمون تأويلها فيحسدونك ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾"(١).

وذكر بعضهم أقولا غير ذلك، تركناها خشية الإطالة، والله أعلم كم كان عمره حين رأىٰ الرؤيا.

---

(١) انظر: [تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٥/ ٢٠٠)]، [والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٦/ ٢٣٧)].

مسألة: قيل أن رؤيا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت ليلة الجمعة!

روي عن الكلبي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: "رأى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر، فلما قصها على يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أشفق عليه من حسد إخوته له، فقال له: ﴿قَالَ يَبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ﴾"(١).

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ في [البحر المحيط في التفسير (٦/ ٢٣٧)]:

"وروي أن رؤيا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت ليلة القدر ليلة جمعة".

قلت: ذكر ذلك غير واحد، والله أعلم بأي ليلة كانت تلك الرؤيا.

(١) انظر: [تفسير البغوي ٤/ ٢١٣]، و[تفسير ابن عطية ٧/ ٤٣٦].

مسألة: في تفسير الكواكب والشمس والقمر

قال ابن عباس وقتادة ومحمد بن إسحاق والمفسرون رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: هم إخوته وأبواه.

وقال ابن جريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكواكب إخوته، والشمس أمه راحيل، والقمر أبوه.

وقال مقاتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشمس أبوه والقمر أمه.

وقال السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشمس أبوه والقمر خالته، وذلك أن أمه كانت قد ماتت(١). -والله أعلم-.

مسألة: في سجود إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قال المفسرون رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: "والسجود: سجود كرامة، كما سجدت الملائكة لآدم. وقيل: كان في ذلك الوقت السجود تحية بعضهم لبعض".

وقال الإمام ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [أحكام القرآن (٣/ ٦٥)]:

"قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: كان هذا سجود تحية لا سجود عبادة، وهكذا كان سلامهم بالتكبير وهو الانحناء، وقد نسخ الله في شرعنا ذلك، وجعل الكلام بدلا عن الانحناء والقيام".

---

(١) انظر: [تفسير الطبري (١٢/ ١٥٢)]، [وابن المنذر كما في "الدر المنثور" (٤/ ٦)]، [وتفسير عبد الرزاق (١٢٣/٢)]، و[تفسير البغوي (٤/ ٢١٣)]، [وتفسير الثعلبي (٧/ ٦٣)]، [وتفسير ابن كثير (٢/ ٥١٣)].

وقال الإمام أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [البحر المحيط في التفسير (٦/ ٣٢٧)]:

"وكان السجود إذ ذاك جائزًا من باب التكريم بالمصافحة، وتقبيل اليد، والقيام مما شهر بين الناس في باب التعظيم والتوقير. وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت تحية الملوك عندهم، وأعطىٰ الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة. وقيل: هذا السجود كان إيماء بالرأس فقط. وقيل: كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة علىٰ الأرض. ولفظة: ﴿وَخَرُّواْ﴾ تأبىٰ هذين التفسيرين. قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الضمير في له عائد علىٰ الله أي: خروا لله سجدا شكرا علىٰ ما أوزعهم من هذه النعمة، وقد تأول قوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾، علىٰ أن معناه رأيتهم لأجلي ساجدين. وإذا كان الضمير ليوسف فقال المفسرون: كان السجود تحية لا عبادة. وقال أبو عبد الله الداراني: لا يكون السجود إلا لله لا ليوسف، ويبعد من عقله ودينه أن يرضىٰ بأن يسجد له أبوه مع سابقته من صون أولاده، والشيخوخة، والعلم، والدين، وكمال النبوة.

وقيل: الضمير وإن عاد علىٰ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فالسجود كان لله تعالىٰ، وجعلوا يوسف قبلة كما تقول: صليت للكعبة، وصليت إلىٰ الكعبة، وقال حسان:

ما كنت أعرف أن الدهر منصرف ... عن هاشم ثم عنها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم ... وأعرف الناس بالأشياء والسنن

وقيل: السجود هنا التواضع، والخرور بمعنىٰ المرور لا السقوط علىٰ الأرض لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٧٣] أي: لم يمروا عليها".

والذي يظهر –والله اعلم–: أن المقصود بسجود إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليوسف كان سجود تحية وكرامة، كما سجدت الملائكة لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن هذا السجود كان جائزًا في شريعتهم.

مسألة: كم المدة بين حصول الرؤيا ووقوع تأويلها؟

اعلم –رعاك الله– أن الأقوال كثيرة في هذه المسألة، وهي مسألة ليس عليها دليل صحيح، إلا ما كان من الإسرائيليات.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره [الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٦٤)]:

"وكان بين رؤيا يوسف وبين تأويلها اثنتان وعشرون سنة، وقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد: أربعون سنة، قال عبد الله بن شداد: وذلك آخر ما تبطئ الرؤيا، وقال قتادة: خمس وثلاثون سنة، وقال السدي وسعيد بن جبير وعكرمة: ست وثلاثون سنة وقال الحسن وجسر بن فرقد وفضيل بن عياض: ثمانون سنة وقال وهب بن منبه: ألقي

يوسف في الجب وهو بن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد أن التقىٰ بأبيه ثلاثًا وعشرين سنة ومات وهو بن مائةٍ وعشرين سنة...إلخ"(١) .

قلت: وأشهر الأقوال في هذه المسألة قولان وهما ما ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره (٢/ ٥٧٠)] حيث قال:

"وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة، وقيل: ثمانين سنة".

(١) انظر أيضًا في: [تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير (١٥/ ١٦٩)].

الوقفة الرابعة: فوائد من الرؤيا اليوسفية

قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بشكل عام يستفاد منها فوائد عديدة وكثيرة جدًا، وفيها دروس وحكم وأحكام استنبطها أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وفي هذه الوقفة أذكر للقارئ الكريم بعضا من الفوائد المستفادة من الرؤيا اليوسفية الكريمة(١).

- أن كتم التحدث بالنعمة للمصلحة جائز ولذلك قال يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ [سورة يوسف:٥] مع أن الرؤيا هنا نعمة، لكن أمره أن يخفيها عن إخوته لمصلحة وأيضًا لدفع مفسدة الحسد، قال: ﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [سورة يوسف:٥].
- أن الله جعل رؤيا يوسف تمهيدا لما سيصل إليه من المكانة.
- أن الله يبتلي العبد ثم يمكنه.
- أن الرؤيا المنامية معتبرة شرعًا، ولذلك يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يتجاهل رؤيا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل أمره أن يخفيها عن إخوته، لما فهم من أن الرؤيا مبشرة بأمر عظيم ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- أن تأويل رؤيا يوسف بأن الشمس أمه، والقمر أبوه، والكواكب إخوته، وأنه ستنتقل به الأحوال إلىٰ أن يصير إلىٰ حال يخضعون له ويسجدون له تحيةً وإكرامًا وتقديرًا.

---

(١) هناك كتب ورسائل كثيرة تتحدث عن قصة يوسف وما فيها من الفوائد والعبر والدلالات.

- أن السجود المقصود بسجود إخوة يوسف ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو سجود تحية وتكريم واحترام، لا سجود عبادة.
- أن هذا السجود كان جائزًا في شريعتهم ولا يجوز في شرعنا لحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "لا يصلح لبشرٍ أن يسجد لبشر ولو صلح لبشرٍ أن يسجد لبشرٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلىٰ مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه" (١).
- أن تأويل الرؤيا ممكن أن يقع بعد سنين طويلة. أي: أن الإنسان يرىٰ رؤيا اليوم يتحقق تأويلها بعد عشرين سنة وربما ثلاثين سنة وربما أقل وربما أكثر...
- أنه لا يشترط أن يرىٰ الشخص الرؤيا اليوم وغدًا يقع تأويلها، فقد يتأخر تأويلها وقد يتقدم.

(١) رواه أحمد (١٢٢٠٣) وقال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح الجامع (حديث رقم: ٧٧٢٥).

رؤى السجينين الذين كانا في السجن مع يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

مما قصه الله علينا في سورة يوسف، من ضمن قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه ابتلي في بيت العزيز بامرأة العزيز حيث أنها راودته عن نفسه فعصمه الله من أن يقع في ما حرم الله، بعد أن أدخلته في غرف القصر وأغلقت الأبواب وطلبت منه فعل الفاحشة لكن عصمه الله من ذلك فخرج من تلك الغرف فقدت قميصه من دبرٍ، وصادف خروجهما أن التقيا بالعزيز، فألقت التهمة علىٰ يوسف ورمته بأنه هو الذي راودها عن نفسها... وفي القصة -كما هو معلوم ولا يخفىٰ علىٰ شريف علم القارئ الكريم- أنه ظهرت البينات والدلائل علىٰ براءة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ... إلىٰ آخر ما قصه الله علينا في سورة يوسف.

ثم بدا للعزيز ومن معه بعدما رأوا الآيات والدلائل علىٰ براءة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أن يسجنوا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فدخل السجن، ودخل معه السجن فتيان، ذكر بعض المفسرين أنهما كان عاملان للملك -كما سيأتي-، وبينما هم في السجن وقد تعرف كل واحد علىٰ الآخر، وعرف الفتيان فضل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وخصاله الكريمة، وإحسانه إلىٰ من في السجن، ذكر له كل واحد منهما أنه رأىٰ رؤيا، ليؤول لهما ما رأيا:

قال تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦﴾ [سورة يوسف:٣٦].

فبين لهما يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الله تعالىٰ من عليه بالعلم، ومن العلم علم تأويل الرؤىٰ، ثم بين لهما أمر التوحيد، وخطر الشرك، وأن الأمر أمر الله وليس في الكون إله يستحق أن يعبد إلا الله الواحد القهار... ثم أول لهما رؤاهما:

قال تعالىٰ عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لهما: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ [سورة يوسف:٤١].

ولنا مع هاتين الآيتين الكريمتين وقفات:

وقفات مع رؤى السجنين:

الوقفة الأولى: تفسير الآيتين

الآية الأولى: وهي التي فيها ذكر الرؤى

النص القرآني للآية الكريمة:

قال تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [سورة يوسف:٣٦].

تفسيرها:

قال الإمام المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره [تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٧)]:

أي: ﴿و﴾ لما دخل يوسف السجن، كان في جملة من ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ أي: شابان، فرأىٰ كل واحد منهما رؤيا، فقصها علىٰ يوسف ليعبرها، فـ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾ وذلك الخبز ﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ أي: بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما، وقولهما: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ أي: من أهل الإحسان إلىٰ

الخلق، فأحسن إلينا في تعبيرك لرؤيانا، كما أحسنت إلىٰ غيرنا، فتوسلا ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإحسانه.

فـ﴿قال﴾ لهما مجيبا لطلبهما: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ أي: فلتطمئن قلوبكما، فإني سأبادر إلىٰ تعبير رؤياكما، فلا يأتيكما غداؤكما، أو عشاؤكما، أول ما يجيء إليكما، إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما".

الآية الثانية: وهي التي فيها ذكر تأويل الرؤى

النص القرآني للآية الكريمة:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة يوسف:٤١].

تفسيرها:

قال الإمام المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره [تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٨)]:

"﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ وهو الذي رأىٰ أنه يعصر خمرًا، فإنه يخرج من السجن ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ أي: يسقي سيده الذي كان يخدمه خمرًا،

وذلك مستلزم لخروجه من السجن، ﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ﴾ وهو: الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه.

﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ فإنه عبر عن الخبز الذي تأكله الطير، بلحم رأسه وشحمه، وما فيه من المخ، وأنه لا يقبر ويستر عن الطيور، بل يصلب ويجعل في محلٍ تتمكن الطيور من أكله، ثم أخبرهما بأن هذا التأويل الذي تأوله لهما، أنه لا بد من وقوعه فقال: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ أي: تسألان عن تعبيره وتفسيره".

الوقفة الثانية: ذكر رؤيا كل واحد منهما مع تأويلها

رؤيا السجين الأول:

السجين الأول –وهو ساقي الملك كما ذكر ذلك بعض المفسرين رَحِمَهُمُ اللَّهُ– ذكر أنه رأى رؤيا مضمونها أنه يعصر عنبًا وقوله: خمرًا، قيل: هو تسمية لما يؤول إليه العنب، وقيل: أن بعض العرب يسمون العنب خمرًا، وقيل: غير ذلك.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [سورة يوسف:٣٦].

قال الواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ في [التفسير الوسيط (٢/ ٦١٣)]:

"قال له الساقي: إني رأيت أصل حبلةٍ عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها، ومعنىٰ أعصر خمرًا: أعصر عنب خمر، أي: العنب الذي يكون عصيره خمرًا، فحذف المضاف، وقال الزجاج، وابن الأنباري: العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه الشيء إذا انكشف المعنىٰ ولم يلتبس، يقولون: فلان يطبخ الآجر ويطبخ الدبس وإنما يطبخ اللبن والعصير".

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره- إحياء التراث (٢/ ٤٩١)]:

" أي: عنبًا سمىٰ العنب خمرًا باسم ما يؤول إليه، كما يقال: فلان يطبخ الآجر، أي: يطبخ اللبن للآجر. وقيل: الخمر العنب بلغة عمان، وذلك أنه قال: إني رأيت كأني

في بستان، فإذا أنا بأصل حبلةٍ عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه".

تأويل الرؤيا:

أول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رؤيا الفتىٰ الأول بقوله له:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ [سورة يوسف:٤١].

قال الإمام المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره جامع البيان ت شاكر (١٦/ ١٠٧)]:

"قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه، مخبرا عن قيل يوسف للذين دخلا معه السجن: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ هو الذي رأىٰ أنه يعصر خمرًا، فيسقي ربه، يعني سيده، وهو ملكهم، ﴿خَمۡرٗاۖ﴾ يقول: يكون صاحب شرابه... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ".

وقال الإمام السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره تفسير السمعاني (٣/ ٣٢)]:

"روي أنه قال لصاحب الشراب: أما تأويل رؤياك: فإنك تدعىٰ بعد ثلاثة أيام وترد إلىٰ منزلتك من الملك".

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره - طيبة (٤/ ٢٤٣)]:

"﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ وهو صاحب الشراب، ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾ يعني الملك ﴿خَمۡرٗاۖ﴾ والعناقيد الثلاثة ثلاثة أيام يبقىٰ في السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام، ويرده إلىٰ منزلته التي كان عليها.

رؤيا السجين الثاني:

والسجين الثاني الذي هو صاحب طعام الملك أخبر يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه رأىٰ أنه يحمل فوق رأسه خبزًا والطير تأكل منه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [سورة يوسف:٣٦].

قال الإمام الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [التفسير الوسيط (٢/ ٦١٣)]:

"وقال صاحب الطعام: رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منه، فذلك قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ أخبرنا بتفسيره ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ تؤثر الإحسان، وتأتي الأفعال الجميلة، قال سلمة بن نبيط: كنت بخراسان جالسًا عند الضحاك فسأله رجل عن قوله: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ ما كان إحسان يوسف؟ قال: كان إذا ضاق علىٰ رجل مكانه وسع عليه، وإن احتاج جمع له، وإن مرض قام عليه".

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره- إحياء التراث (٤/ ٤٩١)]:

"وقال الآخر، وهو الخباز: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ [سورة يوسف:٣٦]، وذلك أنه قال: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والألوان من الأطعمة وسباع الطير ينهشن وينهبن منه. ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾، أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا. ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ أي: العالمين بعبارة الرؤيا، والإحسان بمعنىٰ العلم".

تأويل الرؤيا:

فأول يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ رؤيا السجين الثاني بقوله:

﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ [سورة يوسف:٤١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره جامع البيان ت شاكر (١٦/ ١٠٧)]:

"وأما الآخر، وهو الذي رأىٰ أن علىٰ رأسه خبزًا تأكل الطير منه ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾، فذكر أنه لما عبر ما أخبراه به أنهما رأياه في منامهما، قالا له: ما رأينا شيئا! فقال لهما: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ يقول:

فرغ من الأمر الذي فيه استفتيتما، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ".

وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره (٣/ ٣٢)]:

"قال: وأما أنت يا صاحب الطعام فتدعىٰ بعد ثلاثة أيام وتصلب وتأكل الطير من رأسك".

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره - طيبة (٤/ ٢٤٣)]:

"﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ﴾ يعني: صاحب الطعام فيدعوه الملك بعد ثلاثة أيام، والسلال الثلاث الثلاثة أيام يبقىٰ في السجن، ثم يخرجه، ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾".

الوقفة الثالثة: مسائل متعلقة برؤى الفتيين السجينين

أذكر في هذه الوقفة بعض المسائل التي ذكرها أهل العلم والتفسير رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ عند الآيات المتعلقة برؤى الفتيين، وهي كثيرة منها:

مسألة: في منهما الفتيان؟

كان الفتيان، غلامين من غلمان ملك مصر الأكبر، أحدهما صاحب شرابه، والآخر صاحب طعامه، ذكر ذلك جمع من المفسرين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

قال الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره [الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٣٢٥)]:

"وروي أنهما كانا للملك الأعظم الوليد بن الريان أحدهما: خبازه، واسمه مجلث، والآخر: ساقيه، واسمه نبو".

وذكر غير ذلك بالنسبة لأسمائهما...

مسألة: في وقت دخولهما السجن

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [البحر المحيط في التفسير (٦/ ٢٧٥)]:

-عند قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ﴾ [سورة يوسف:٣٦]-:

"ومع تدل على الصحبة واستحداثها، فدل على أنهم سجنوا الثلاثة في ساعة واحدة".

مسألة: في: سبب دخولهما السجن

قال الإمام الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [الوجيز (ص: ٥٤٦)]:

"﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ [سورة يوسف:٣٦] غلامان للملك الأكبر رفع إليه أن صاحب طعامه يريد أن يسمه وصاحب شرابه مالأه على ذلك فأدخلهما السجن ورأيا يوسف يعبر الرؤيا فقالا: لنجرب هذا العبد العبراني فتحالما من غير أن يكونا رأيا شيئا".

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره- إحياء التراث (٣/ ٤٩١)]:

"وهما غلامان كانا للريان بن الوليد بن شروان العمليقي ملك مصر الأكبر، أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه، غضب الملك عليهما فحبسهما. وكان السبب فيه أن جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالاً ليسما الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم ثم إن الساقي نكل عنه، وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام، فلما أحضروا الطعام والشراب، قال الساقي: لا تأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم، وقال الخباز: لا تشرب فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقي: اشرب منه فشرب فلم يضره، وقال الخباز: كل من الطعام، فأبى فجرب ذلك الطعام على دابةٍ فأكلته فهلكت، فأمر الملك بحبسهما".

وقال الإمام أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [البحر المحيط - العلمية (٥/ ٣٠٧)]:

"وروي أنهما كانا للملك الأعظم الوليد بن الريان، أحدهما خبازه، والآخر ساقيه. وروي أن الملك اتهمهما بأن الخابز منهما أراد سمه ووافقه علىٰ ذلك الساقي، فسجنهما قاله: السدي" .

مسألة: في هل رأيا ذلك حقا أم تراءيا؟

ذكر بعضهم أنهما تراءيا ليختبرا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقال الباقون بل رأيا ذلك صدقًا ...

قال الإمام الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [الوجيز (ص: ٥٤٦)]:

"﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ [سورة يوسف:٣٦] غلامان للملك الأكبر رفع إليه أن صاحب طعامه يريد أن يسمه وصاحب شرابه مالأه علىٰ ذلك فأدخلهما السجن ورأيا يوسف يعبر الرؤيا فقالا: لنجرب هذا العبد العبراني فتحالما من غير أن يكونا رأيا شيئًا".

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٨٩)]:

"كان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبر الأحلام؛ فقال أحد الفتيين لصاحبه: تعال حتىٰ نجرب هذا العبد العبراني؛ فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئًا؛ قاله ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحكىٰ الطبري أنهما سألاه عن علمه فقال: إني أعبر الرؤيا؛ فسألاه عن

رؤياهما. قال ابن عباس ومجاهد: كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها؛ ولذلك صدق تأويلها".

والله أعلم بحقيقة الأمر.

مسألة: عند قوله تعالى: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة يوسف: ٤١].

قال الإمام الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [التفسير الوسيط (٢/ ٦١٤)]:

"﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة يوسف:٤١] أي: فرغ منه، سيقع بكما ما عبرت لكما صدقتما أو كذبتما، وإنما حلم يوسف بوقوع الأمر بهما من قبل وحي أتاه من الله تعالىٰ".

وقال الإمام ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [أحكام القرآن (ط التراث) (٣/ ٤٦)]:

"هاهنا نكتة بديعة: وهي أن يوسف عليه السلام وإن كان قال لهما: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة يوسف:٤١] فقد قال الله عنه: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [سورة يوسف:٤٢] فكيف يقول: قضي الأمر ثم يجعل نجاته ظنًا؟

وأجاب عنه الناس من وجهين:

الأول: قالوا: إنما أخبر عنه بالظن؛ لأن تفسير الرؤيا ليس بقطع، وإنما هو ظن، وهذا باطل؛ وإنما يكون ذلك في حق الناس، فأما في حق الأنبياء فلا؛ فإن حكمهم حق كيفما وقع.

الثاني: إن ظن هاهنا بمعنىٰ أيقن وعلم، وقد يستعمل أحدهما موضع الآخر لغة".

مسألة: عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ...﴾ [سورة يوسف: ٤٢].

ظن هنا بمعنىٰ: أيقن وعلم وهذا قول أكثر المفسرين رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وذلك لأن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي من الأنبياء وما قاله للفتيين كان ذلك عن وحيٍ من الله.

قال الإمام المفسر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في [الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٩٤)]:

"قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ [سورة يوسف:٤٢] "ظن" هنا بمعنىٰ أيقن، في قول أكثر المفسرين وفسره قتادة علىٰ الظن الذي هو خلاف اليقين؛ قال: إنما ظن يوسف نجاته لأن العابر يظن ظنًا وربك يخلق ما يشاء؛ والأول أصح وأشبه بحال الأنبياء وأن ما قاله للفتيين في تعبير الرؤيا كان عن وحي، وإنما يكون ظنًا في حكم الناس، وأما في حق الأنبياء فإن حكمهم حق كيفما وقع".

مسألة: في من كذب في رؤيا وفسرها له العابر

قال العلامة ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [أحكام القرآن (٣/ ٤٥)]:

"فإن قيل: ومن كذب في رؤيا ففسرها العابر له، أيلزمه حكمها؟ قلنا: لا يلزمه؛ وإنما كان كذلك في يوسف؛ لأنه نبي. وقد قال: إنه يكون كذا ويقع كذا، فأوجد الله ما أخبر كما قال؛ تحقيقًا لنبوته...".

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٩٣)]:

"قال علماؤنا: إن قيل من كذب في رؤياه ففسرها العابر له أيلزمه حكمها؟ قلنا: لا يلزمه؛ وإنما كان ذلك في يوسف لأنه نبي، وتعبير النبي حكم، وقد قال: إنه يكون كذا وكذا فأوجد الله تعالىٰ ما أخبر كما قال تحقيقًا لنبوته؛ فإن قيل: فقد روىٰ عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قال: جاء رجل إلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: إني رأيت كأني أعشبت ثم أجدبت ثم أعشبت ثم أجدبت، فقال له عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنت رجل تؤمن ثم تكفر، ثم تؤمن ثم تكفر، ثم تموت كافرًا؛ فقال الرجل: ما رأيت شيئًا؛ فقال له عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قد قضىٰ لك ما قضىٰ لصاحب يوسف؛ قلنا: ليست لأحد بعد عمر؛ لأن عمر كان محدثا، وكان إذا ظن ظنًا كان وإذا تكلم به وقع، علىٰ ما ورد في أخباره؛ وهي كثيرة؛ منها: أنه دخل عليه رجل فقال له: أظنك كاهنًا فكان كما ظن؛ خرجه البخاري. ومنها: أنه سأل رجلاً عن اسمه فقال له: فيه أسماء النار كلها، فقال له: أدرك أهلك فقد احترقوا، فكان كما قال. خرجه الموطأ".

الوقفة الرابعة: فوائد من رؤى السجينين

يستفاد من رؤى السجينين صاحبي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عدة فوائد منها:

- أن الغلامين دخلا السجن في نفس الوقت مع يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو بعده بوقتٍ قصيرٍ جدًا.
- ما أكرم الله به نبيه يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من العلم، ومن العلم علم تفسير الرؤى وتعبير الأحلام.
- أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان له شأن في السجن بسبب ما أعطاه الله من العلم.
- أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان محسنًا لمن معه في السجن.
- أن الإحسان في قوله: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ يشمل معنيين الأول: الإحسان بمعنى العلم ومنه علم تعبير الرؤى، والثاني: إحسان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمن كان معه في السجن.
- أن الرؤى قد تكون مبشرةً لصاحبها بخيرٍ مثل رؤيا الغلام الأول، وقد تكون منذرةً صاحبها بشرٍ مثل رؤيا الآخر الذي صلب.
- أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يفسر لهما رؤاهما حتى بين لهما أهمية التوحيد وشؤم الشرك كما بينت ذلك الآيات الكريمة.
- أن تأويل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لرؤى السجينين وقع كما أخبر بذلك، ليكون ذلك تأييدًا وتصديقًا لنبوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وصدقه.

رؤيا ملك مصر

وبينما يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في السجن ودنا وقت خروجه، وأراد الله أن يفرج عنه، إذا بملك مصر يرى في منامه رؤيا هالته وأفزعته فأصبح يريد تأويلها، وهذه الرؤيا مضمونها: أن الملك رأى في منامه سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبعٌ هزال، ورأى سبع سنبلاتٍ خضرٍ ومثلهن يابسات.

طلب الملك من ملأه أن يفسروا له رؤياه، لكنهم عجزوا عن ذلك فقالوا له: إنما هي أحلام مختلطة لا تأويل لها.

وبينما هم كذلك إذا بساقي الملك يتذكر أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فسر له ولصاحبه رؤاهما فقال للملك: أنا آتيك بتأويل رؤياك، فأذن لي أذهب...

قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة يوسف].

فأذنوا للساقي وأرسلوه إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ليرجع إليهم بتأويل رؤيا الملك، فلما وصل إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦﴾ [سورة يوسف:٤٦].

فأول له يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ رؤيا الملك كما قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾ [سورة يوسف].

وكانت هذه الرؤيا وتأويلها سببًا لإخراج يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من السجن...، ومن ثم اعتراف امرأة العزيز بقولها: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾ [سورة يوسف:٥١].

... ثم تمكين يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من خزائن الدولة كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [سورة يوسف:٥٦].

ولنا مع رؤيا ملك مصر وتأويلها وقفات:

وقفات مع رؤيا ملك مصر:

الوقفة الأولى: تفسير الآيات المتعلقة بالرؤيا

النص القرآني للآيات الكريمة:

قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة يوسف].

تفسيرها:

قال الإمام المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٩)]:

"لما أراد الله تعالى أن يخرج يوسف من السجن، أرى الله الملك هذه الرؤيا العجيبة، الذي تأويلها يتناول جميع الأمة، ليكون تأويلها على يد يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،

فيظهر من فضله، ويبين من علمه ما يكون له رفعة في الدارين، ومن التقادير المناسبة أن الملك الذي ترجع إليه أمور الرعية هو الذي رآها، لارتباط مصالحها به.

وذلك أنه رأى رؤيا هالته، فجمع لها علماء قومه وذوي الرأي منهم وقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ﴾ [سورة يوسف:٤٣] أي: سبع من البقرات ﴿عِجَافٞ﴾ وهذا من العجب، أن السبع العجاف الهزيلات اللاتي سقطت قوتهن، يأكلن السبع السمان التي كن نهاية في القوة.

﴿و﴾ رأيت ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ يأكلهن سبع سنبلات ﴿يَابِسَٰتٖ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ لأن تعبير الجميع واحد، وتأويله شيء واحد. ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ فتحيروا، ولم يعرفوا لها وجهًا.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَامٖ﴾ أي: أحلام لا حاصل لها، ولا لها تأويل.

وهذا جزم منهم بما لا يعلمون، وتعذر منهم، بما ليس بعذر ثم قالوا: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ أي: لا نعبر إلا الرؤيا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس، فإنا لا نعبرها.

فجمعوا بين الجهل والجزم، بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا،

وهذا أيضًا من لطف الله بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ. فإنه لو عبرها ابتداء -قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها- لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها غاية، فعبرها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ- وقعت عندهم موقعًا عظيمًا، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا. ثم سأل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: "أنا لها أنا لها" فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون. فسبحان من خفيت ألطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفيائه وأوليائه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي: من الفتيين، وهو: الذي رأى أنه يعصر خمراً، وهو الذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: وتذكر يوسف، وما جرى له في تعبيره لرؤياهما، وما وصاه به، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة من السنين فقال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ إلى يوسف لأسأله عنها.

فأرسلوه، فجاء إليه، ولم يعنفه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ أي: كثير الصدق في أقواله وأفعاله. ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ

خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ [سورة يوسف:٤٦]

فإنهم متشوقون لتعبيرها، وقد أهمتهم".

الوقفة الثانية: تفسير الآيات المتعلقة بتأويل الرؤيا

النص القرآني للآيات الكريمة:

قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مخبراً عن رد يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ معبراً لرؤيا الملك: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة يوسف].

تفسيرها:

قال الإمام المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٠)]:

"فعبر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف، والسبع السنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجدبات، ولعل وجه ذلك - والله أعلم - أن الخصب والجدب لما كان الحرث مبنيًا عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غلالها، والجدب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقىٰ عليها الحروث في الغالب، والسنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك، لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التعبير والإشارة لما يفعلونه،

ويستعدون به من التدبير في سني الخصب، إلىٰ سني الجدب فقال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي: متتابعات.

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ من تلك الزروع ﴿فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لأنه أبقىٰ له وأبعد من الالتفات إليه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: دبروا أيضا أكلكم في هذه السنين الخصبة، وليكن قليلاً ليكثر ما تدخرون ويعظم نفعه ووقعه.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد تلك السنين السبع المخصبات. ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ أي: مجدبات جدا ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: يأكلن جميع ما ادخرتموه ولو كان كثيرًا. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: تمنعونه من التقديم لهن.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد السبع الشداد ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي: فيه تكثر الأمطار والسيول، وتكثر الغلات، وتزيد علىٰ أقواتهم، حتىٰ إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة علىٰ أكلهم، ولعل استدلاله علىٰ وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك، لأنه فهم من التقدير بالسبع الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها. ومن المعلوم أنه لا يزول الجدب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام مخصب جدًا، وإلا لما كان للتقدير فائدة، فلما رجع الرسول إلىٰ الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للرؤيا، عجبوا من ذلك، وفرحوا بها أشد الفرح...".

الوقفة الثالثة: مسائل متعلقة برؤيا الملك

وفي هذه الوقفة أذكر بعض ما ذكره أهل التفسير رَحِمَهُمُ اللَّهُ عند الآيات التي تحدثت عن رؤيا ملك مصر وتأويلها...

مسألة: في بيان رؤيا الملك

قال الإمام الواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ في [التفسير الوسيط (٢/ ٦١٥)] وبنحوه قال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره(٣/ ٣٤)] وغيرهما من أهل التفسير رَحِمَهُمُ اللَّهُ :

"قال المفسرون: لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالته، وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان وسبعا عجاف، فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم ير منهن شيئا، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعًا أخر يابسات قد استحصدت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها، فجمع الملك الكهنة وقصها عليهم".

مسألة: في من هو ملك مصر صاحب الرؤيا؟

ذكر بعضهم أنه الريان بن الوليد ملك مصر الأكبر الذي كان العزيز وزيراً له..

روى الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره (١٦/ ١١٧)]:

"قال: حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: ثم إن الملك الريان بن الوليد رأى رؤياه التي رأى فهالته، وعرف أنها رؤيا واقعة، ولم يدر ما تأويلها،

فقال للملأ حوله من أهل مملكته: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾ إلىٰ قوله: ﴿بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾".

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره(٩/ ١٩٨)]:

"وذلك أن الملك الأكبر الريان بن الوليد رأىٰ في نومه كأنما خرج من نهر يابس سبع بقرات سمان، في أثرهن سبع عجاف- أي مهازيل- وقد أقبلت العجاف علىٰ السمان فأخذن بآذانهن فأكلنهن، إلا القرنين، ورأىٰ سبع سنبلات خضر قد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلنهن حتىٰ أتين عليهن فلم يبق منهن شي وهن يابسات، وكذلك البقر كن عجافا فلم يزد فيهن شي من أكلهن السمان، فهالته الرؤيا، فأرسل إلىٰ الناس وأهل العلم منهم والبصر بالكهانة والنجامة والعرافة والسحر، وأشراف قومه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ فقص عليهم..".

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [فتح القدير (٣/ ٣٧)]:

"المراد بالملك هنا: هو الملك الأكبر، وهو الريان بن الوليد الذي كان العزيز وزيراً له..".

مسألة: في صحة رؤيا الكافر -أحيانا-

قال العلامة ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [أحكام القرآن (٣/ ٤٨)]:

"فيها صحة رؤيا الكافر، ولا سيما إذا تعلقت بمؤمن، فكيف إذا كانت آيةً لنبي، ومعجزةً لرسول، وتصديقًا لمصطفىٰ للتبليغ، وحجةً للواسطة بين الله وبين العباد".

فـ"الرؤيا الصحيحة الحق ممكن يراها الكافر، لكن نادرًا لأن الملك هذا الذي رأىٰ سبع بقرات سمان وسبع سنبلات هذه رؤيا حق تعبيرها فعلًا حصل ودلت علىٰ أن هناك سبع سنوات خصب ثم سبع سنوات عجاف وبعد سنةٍ يأتي فيها الفرج فممكن الشخص الكافر يرىٰ رؤيا صحيحه لكن نادرًا. إنما أكثر ما يرىٰ الرؤيا الحق الصحيحة المؤمنون".

مسألة: كيف فهم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه سيأتي بعد السبع السنين الشداد سنة فيها رخاء؟

قال الشيخ عبد الرحمن آل سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"وأما قوله: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة يوسف:٤٩] أي: يحصل للناس فيه غيث مغيث، تعيد الأراضي خصبها، ويزول عنها جدبها، وذلك مأخوذ من تقييد السنين المجدبات بالسبع؛ فدل هذا القيد علىٰ أنه يلي هذه السبع ما يزيل شدتها، ويرفع جدبها؛ ومعلوم أن توالي سبع سنين مجدبات لا يبقي في الأرض من آثار الخضر والنوابت والزروع ونحوها لا قليلاً ولا

كثيرًا، ولا يرفع هذا الجدب العظيم إلا غيث عظيم؛ وهذا ظاهرٌ جدًا، أخذه من رؤيا الملك ومن العجب أن جميع التفاسير التي وقفت عليها لم يذكروا هذا المعنىٰ، مع وضوحه، بل قالوا: لعل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ جاءه وحي خاص في هذا العام الذي فيه يغاث الناس وفيه يعصرون. والأمر لا يحتاج إلىٰ ما ذكروه، بل هو ولله الحمد ظاهر من مفهوم العدد، وأيضًا ظاهر من السياق. فإنه جعل هذا التعبير والتفسير توضيحًا لرؤيا الملك"(١).

"فسرها يوسف سبع سنوات رخاء ثم سبع سنوات شدة، من أين أتىٰ يوسف بأنه سيأتي بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون يعني عام خمسة عشر هذا رخاء فيه مطر والناس يعصرون الزيتون ويستخرجون الزيت والسمسم، إلىٰ آخره... يعصرون ... يعني من الرخاء ويغاث الناس بالمطر؟

قيل: إن هذا مما فهمه الله ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلمه إياه لأنه لو كان عام رقم خمسة عشر عام جدب وقحط ما صارت سبع بقرات هزيلة وسبع سنبلات يابسات كانت صارت ثمان سنبلات وثمان بقرات هزيلة فلما رأىٰ سبعة ثم سبعة معناه أن الذي بعدها ليس جدب وإلا صارت ثمانية، فهذا من دقائق الفهم علىٰ أية حال ومما علمه الله ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ".

(١) فوائد مستنبطة من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ (ص: ٨).

الوقفة الرابعة: فوائد من رؤيا ملك مصر

يستفاد من رؤيا ملك مصر فوائد منها:

- أن الله إذا أراد أن يفرج عن العبد هيأ له أسبابًا...
- أن الله يبتلي العبد ثم يفرج عنه بما لا يأتي علىٰ باله.
- أن العبد يبتلىٰ ثم يمكن ..
- أن الفرج قد يأتي علىٰ هيئة رؤيا منامية، كما رأىٰ الملك الرؤيا وفسرها له يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فكانت سببًا لخروجه من السجن.
- أن بعض الرؤىٰ تكون لها شأن، بعضها تتعلق بشخص بعينه، وبعض تتعلق بأمة.
- فضل العلم وأهميته، وأن العلم قد يكون سبب لنجاة صاحبه مما هو واقع فيه من البلاء.
- أن الله أكرم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعلم، ومن العلم علم تعبير الرؤىٰ.
- أن الرؤيا قد تكون مبشرةً بخيرٍ، وقد تكون منذرةً بشرٍ، وقد تجمع بين الأمرين، كأن تنذر بشرٍ يعقبه خير.
- صحة رؤىٰ الملوك وأصحاب الرتب في بعض الأحيان.
- أن بعض الرؤىٰ تجلب الهم لصاحبها فيسعىٰ في تأويلها وسماع تفسيرها من أهل العلم بهذا الشأن، كما فعل ملك مصر.

- "رؤيا الملك وتعبير يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لها وتدبيره ذلك التدبير العجيب من رحمة الله العظيمة علىٰ يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وعلىٰ الملك وعلىٰ الناس. فلولا هذه الرؤيا وهذا التعبير والتدبير لهجمت علىٰ الناس السنون المجدبات قبل أن يعدوا لها عدتها فيقع الضرر الكبير علىٰ الأقطار المصرية، وعلىٰ ما جاورها، فصار ذلك رحمةً بهم وبغيرهم من الخلق"(١).

(١) فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام للشيخ عبد الرحمن آل سعدي (ص: ٨)

رؤيا فرعون

تحدث الله في القرآن الكريم عن الطاغية فرعون كثيرًا، وأخبر أنه طغىٰ وعتىٰ، وتكبر واستكبر، وجحد وعاند، ومن ذلك أنه استعبد بني إسرائيل لدرجة أنه كان يُذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم –أي: أنه كان يذبح الذكور منهم ويستبقي الإناث – ظلمًا، وعدوانًا...

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة البقرة:٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة إبراهيم:٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة القصص:٤].

فأخبر الله تعالىٰ في هذه الآيات وفي غيرها أن بني إسرائيل كانوا ما بين قتيلٍ، وخاضعٍ ذليل...

وذكر بعض المفسرين أن سبب فعل فرعون ذلك الظلم، هو: أنه رأى رؤيا فسرها له بعض الكهنة أنه يولد من بني إسرائيل من يكون زوال ملكه على يديه، فعندئذ أمر بقتل المواليد الذكور من بني إسرائيل، واستبقاء الإناث...إلخ ما في القصة المعروفة.

روىٰ الإمام المفسر ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره جامع البيان (١٨/ ١٥١)]، وابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره (١/ ١٠٦)] عن السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:

" كان من شأن فرعون أنه رأىٰ رؤيا في منامه، أن نارًا أقبلت من بيت المقدس حتىٰ اشتملت علىٰ بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه، يعنون بيت المقدس، رجل يكون علىٰ وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا تولد لهم جارية إلا تركت، وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجًا، فأدخلوهم، واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم، وأدخلوا غلمانهم، فذلك حين يقول: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [سورة القصص:٤] يعني بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة "...

وذكر ذلك غيرهم من المفسرين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، -والله أعلم-.

فائدة: من هو فرعون الذي رأى الرؤيا آنفة الذكر (فرعون موسى)؟

قيل: أن فرعون كان لقبًا يُطلق علىٰ كل من ملك مصر، وقيل: أن اسمه الوليد بن مصعب بن الريان.

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [جامع البيان ت شاكر (٢/ ٣٨)]:

"وأما "فرعون" فإنه يقال: إنه اسم كانت ملوك العمالقة بمصر تُسمىٰ به، كما كانت ملوك الروم يُسمىٰ بعضهم "قيصر" وبعضهم "هرقل"، وكما كانت ملوك فارس تُسمىٰ "الأكاسرة" واحدهم "كسرىٰ"، وملوك اليمن تُسمىٰ "التبابعة"، واحدهم "تبع".

وأما "فرعون موسىٰ" الذي أخبر الله تعالىٰ عن بني إسرائيل أنه نجاهم منه فإنه يقال: إن اسمه "الوليد بن مصعب بن الريان"، وكذلك ذكر محمد بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه بلغه عن اسمه".

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٨٣)]:

"قيل: إنه اسم ذلك الملك بعينه وقيل: إنه اسم كل ملك من ملوك العمالقة مثل: كسرىٰ للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة، وأن اسم فرعون موسىٰ قابوس في قول أهل الكتاب. وقال وهب: اسمه الوليد بن مصعب بن الريان ويكنىٰ أبا مرة وهو من بني

عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال السهيلي: وكل من ولىٰ القبط ومصر فهو فرعون، وكان فارسيًا من أهل اصطخر...".

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره (١/ ٣٩٧)]:

"وفرعون علم كل من ملك مصر كافرًا من العماليق وغيرهم كما أن قيصر علم علىٰ كل من ملك الروم مع الشام كافرًا وكسرىٰ لمن ملك الفرس وتبع لمن ملك اليمن كافرًا[١] والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطليموس لمن ملك الهند ويقال: كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الوليد بن مصعب بن الريان وقيل: مصعب بن الريان فكان من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح وكنيته أبو مرة وأصله فارسي من اصطخر، وأيًا ما كان فعليه لعنة الله".

والله أعلم بحقيقة اسمه، وكما قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأيًا ما كان فعليه لعنة الله".

(١) بالنسبة للتبابعة ليسوا كلهم كفار بل قد ورد أن هناك من كان مسلمًا من التبابعة ومنهم من كانوا أنصارًا لأنبياء الله ورسله، ومنهم من كانوا من الصالحين.

وقفات مع رؤيا فرعون:

الوقفة الأولى: رؤيا فرعون التي ذكرها السدي وغيره

نص الرؤيا تقدم في الصفحات السابقة.

الوقفة الثانية: تأويل الرؤيا الفرعونية

أقول: -وبالله التوفيق- إن كان فرعون قدر رأى تلك الرؤيا التي ذُكرت آنفًا، التي مضمونها أنه رأى في منامه، أن نارًا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر. وفسرها له الكهنة والسحرة: أنه يخرج من بني إسرائيل من يكون زوال ملكه على يديه، فقد حصل ذلك الأمر، وهو: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل زوال ملك فرعون وهلاكه على يد رجلٍ من بني إسرائيل وهو كليم الله ورسوله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك بعد أن أرسل الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون يدعوه إلى الله، وإلى ترك ما هو عليه من الكفر والظلم والجحود، وبين له بالمعجزات والدلائل والبراهين الدالة على صدق نبوته ورسالته، إلا أن فرعون أبى واستكبر وكان من الكافرين،... إلى أن أغرقه الله وأهلكه، وزال فرعون وزال معه ملكه، وجعله الله عبرةً للعالمين كما هو معلوم في قصة موسى مع فرعون.

والله أعلى وأعلم.

الوقفة الثالثة: فوائد من رؤيا الطاغية فرعون

يستفاد من رؤيا فرعون أمورا، منها:

- أن الله يملي للظالم، ثم إذا أخذه لم يفلته.
- أن الله ينذر الظالم، بأنواعٍ من الإنذارات، كالإنذار عن طريق رؤيا منامية، أو يرسل إليه من ينهاه عن ظلمه وبغيه، مثل ما حصل مع فرعون.
- أن الشخص ينبغي له أن يراجع حسابه مع الله ومع نفسه، خاصةً إذا رأىٰ رؤيا فيها نوع من الإنذار أو التخويف، فيكف وينته عن ما هو عليه من الذنوب والمعاصي.
- أن الشخص مهما عمل فإن الله إذا قضىٰ أمرًا لا بد أن يكون.
- أن وقوع تأويل الرؤيا وتفسيرها إذا أراده الله أن يتحقق فلا يمكن أن يمنعه مانع.
- أن الإنسان لا يغتر بماله ولا بملكه فإنه مصير ذلك إلىٰ الزوال.

فائدة في: (إلهام الله لأم موسى عليهما السلام)

أخبر ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم أن فرعون لما أمر بذبح المواليد الذكور من بني إسرائيل، كانت أم موسىٰ حاملاً بموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ذكر أهل التفسير أن فرعون لما أكثر القتل في بني إسرائيل خاف الأقباط أن يفنىٰ بنو إسرائيل، فيضطر الأقباط، إلىٰ القيام بما يقوم به بنو إسرائيل من الأعمال الشاقة، فقالوا لفرعون ذلك، فأمر بقتل الولدان عاما، وتركهم عاما، فولد هارون في السنة التي يتركون فيها الذكور، وولد موسىٰ في السنة التي يقتلون فيها الذكور فخافت أمه عليه، وضاقت به ذرعًا، وقد أحبته حبا شديداً واشتد خوفها عليه فألهمها الله أن تضعه في تابوت، وتقذفه في الماء...إلىٰ آخر ما في القصة مما هو معلوم لدىٰ القارئ الكريم.

أخبر الله أنه أوحىٰ إلىٰ أم موسىٰ أن تضعه في التابوت –وهو الصندوق– ثم تلقيه في اليم –أي: نيل مصر–، وهو سبحانه تكفل بحفظه ورعايته.

كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة طه].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾ [سورة القصص:٧].

قيل: أن الله ألهمها ذلك بأن ألقى هذا الأمر على قلبها فاطمأنت إليه، وقيل: أن الله أوحى إليها هذا الأمر عن طريق رؤيا منامية رأتها في منامها، وقيل: أوحى إليها بواسطة ملك كلمها، والله أعلم.

قال الإمام المفسر ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣)]:

"فأوحىٰ الله إليها، قيل: بملك جاء لها وأخبرها وأمرها، قال بعض من روىٰ هذا: ولم تكن نبيةً لأنا نجد في الشرع ورواياته أن الملائكة قد كلمت من لم يكن نبيًا، وقال بعضهم: بل كانت أم موسىٰ نبيةً بهذا الوحي، وقالت فرقة: بل كان هذا الوحي رؤيا رأتها في النوم، وقالت فرقة: بل هو وحي إلهام وتسديد كوحي الله إلىٰ النحل وغير ذلك فألهمها الله إلىٰ أن اتخذت تابوتًا فقذفت فيه موسىٰ راقدًا في فراشٍ، ثم قذفته في يم النيل".

وقال الإمام فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠/ ٤٠٣)]:

"ثم اختلفوا في المراد بهذا الوحي علىٰ وجوه:

أحدها: المراد رؤيا رأتها أم موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وكان تأويلها وضع موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في التابوت وقذفه في البحر وأن الله تعالىٰ يرده إليها ".

قلت: اختلف في معنىٰ وحي الله لأم موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الله أوحىٰ إليها عن طريق ملك من الملائكة عليهم الصلاة والسلام أخبرها وأمرها بما أراده الله منها.

الثاني: أنه كان وحي إلهام، كوحي الله للنحل وغيرها من المخلوقات.

الثالث: أن الوحي كان طريق رؤيا منامية رأتها في المنام، فاطمأن لها قلبها.

رؤى نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خير الناس وأفضلهم، أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله خاتم النبيين والمرسلين، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشراً يعتريه ما يعتري البشر، ومن ذلك أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرىٰ في منامه رؤىً صادقةً، وهو -بأبي هو وأمي ونفسي- الصادق في النوم واليقظة، فقد كانت رؤاه كلها رؤىٰ صدق ورؤىٰ حق، تقول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...» وفي رواية: "الرؤيا الصالحة". رواه الإمامان البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا اللَّهُ(١)، أي: لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت كما رأىٰ في منامه، "كفلق الصبح" أي: تتحقق كضوءِ الصبح دليل علىٰ صدق رؤاه عليه الصلاة والسلام.

ورؤىٰ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام رؤىٰ صدق وحق، وذلك أن الله شرف الأنبياء عليهم السلام بأنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحىٰ إليه وهو نائمٌ في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتىٰ أتوه ليلةً

(١) صحيح البخاري (٤٩٥٣، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢) وصحيح مسلم (١٦٠).

أخرىٰ، فيما يرىٰ قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم» رواه البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ[١] .

وقد روىٰ لنا صحابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجموعةً من رؤىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمعت ما تيسر لي مما صح منها في رسالةٍ بعنون: "كتابُ الأربعين في رؤىٰ سيد المرسلين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " –نسأل الله أن يتقبلها وأن ينفع بها–.

وهاهنا أذكر للقارئ الكريم شيئًا مما يتعلق بالرؤىٰ النبوية الشريفة التي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الكريم، حيث أنه قد وردت آيتان في القرآن الكريم تحدثتا عن رؤىٰ رآها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه، إحداهما في سورة الأنفال، والأخرىٰ في سورة الفتح، الأولىٰ: تحدثت عن رؤيا نبوية كانت في غزوة بدر، والثانية: كانت في عمرة القضاء –والله أعلم–:

(١) صحيح البخاري (٣٥٧٠)، وصحيح مسلم (٢٦٢).

رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر

خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ بدرٍ لملاقاة جيش المشركين، وكان عدد جيش المسلمين ثلاث مائة وبضعة عشر بقيادة القائد العظيم والنبي الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان عدد جيش المشركين قرابة ألف مقاتل ومعهم العدة والعتاد بقيادة أبي جهل عمرو بن هشام زعيم المشركين...

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الله أن ينصره علىٰ عدوه، وأن يرفع راية أهل الإسلام، وأن يخذل أهل الشرك والطغيان.

وفي ليلة هذه الغزوة العظيمة أرىٰ الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه عدد جيش المشركين قليلًا، تثبيتًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من الصحابة، وتأييدًا لهم، وتبشيرًا بنصر الله تعالىٰ لهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأنفال:٤٣].

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أرىٰ الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفار قريش في منامه قليلًا فأخبر بذلك أصحابه فقالوا: رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، القوم قليل، وكان ذلك تثبيتًا لهم؛ لأنهم اجترأوا بذلك علىٰ حرب عدوهم، وهذا قول الكلبي ومقاتل وأكثر أهل التفسير رَحِمَهُمُ اللَّهُ قالوا: قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ

أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ [سورة الأنفال:٤٣]. يعني رؤيا النوم»(١).

وقال مقاتل بن سليمان في [تفسيره (٢/ ١١٧)]:

"وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى في المنام أن العدو قليل قبل أن يلتقوا فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بما رأى، فقالوا: رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق والقوم قليل فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في أعين الناس، لتصديق رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثبت نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابة نبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالثبات العظيم، وبشرهم بالنصر، وزادهم ثباتًا رؤيا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه قبل المعركة في أن عدد المشركين قليل، فكانت هذه الرؤيا من أسباب ثبات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعدم قلقهم أو خوفهم من أن يهزموا أمام جيش الشرك وأعوان الشيطان.

قال الإمام القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره = محاسن التأويل (٥/ ٣٠٢)]:

"وذلك أن الله عز وجل أراه -يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إياهم -يعني المشركين- في رؤياه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكان تثبيتًا لهم وتشجيعًا على عدوهم"

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٢)، وانظر: "بحر العلوم"، للسمرقندي (٢/٢٠)، والثعلبي (٦/ ٦٤)، والبغوي (٣/٣٦٤)، والماوردي (٢/ ٣٢٣)، وغيرها من كتب التفاسير.

ولنا مع هذه الرؤيا النبوية الكريمة وقفات:

وقفات مع رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة بدر:

الوقفة الأولى: تفسير الآية الكريمة

النص القرآني للآية الكريمة:

قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأنفال:٤٣].

تفسيرها:

قال الإمام المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٢)]:

"وكان الله قد أرى رسوله المشركين في الرؤيا عددًا قليلًا فبشر بذلك أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فاطمأنت قلوبهم وتثبتت أفئدتهم.

ولو أراكهم الله إياهم كثيرًا فأخبرت بذلك أصحابك ﴿لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ فمنكم من يرى الإقدام على قتالهم، ومنكم من لا يرى ذلك فوقع من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ فلطف بكم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٢٣﴾﴾ أي: بما فيها من ثباتٍ وجزعٍ، وصدقٍ وكذبٍ، فعلم الله من قلوبكم ما صار سبباً للطفه وإحسانه بكم وصدق رؤيا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأرىٰ الله المؤمنين عدوهم قليلًا في أعينهم، ويقللكم -يا معشر المؤمنين- في أعينهم، فكل من الطائفتين ترىٰ الأخرىٰ قليلة، لتقدم كل منهما علىٰ الأخرىٰ".

الوقفة الثانية: تأويل الرؤيا النبوية

كان تأويل الرؤيا النبوية الشريفة ما قاله ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الأنفال:٤٤].

وذلك بأن أرىٰ الله المؤمنين المشركين قليلاً مع كثرتهم، وكان هذا تأييدًا لرؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأويلًا لها.

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [جامع البيان ت شاكر (١٣/ ٥٧٢)]:

"إذ يري الله نبيه في منامه المشركين قليلًا وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلاً وهم كثير عددهم، ويقلل المؤمنين في أعينهم، ليتركوا الاستعداد لهم، فتهون علىٰ المؤمنين شوكتهم، كما: حدثني ابن بزيع البغدادي قال: حدثنا إسحاق بن منصور، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر، حتىٰ قلت لرجل إلىٰ جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة قال: فأسرنا رجلاً منهم فقلنا: كم هم؟ قال: ألفا".

وقال المفسر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره(٢/ ٢٦٩)]:

"معنىٰ الآية: أن الله تعالىٰ قلل المشركين في أعين المؤمنين؛ ليقدموا ولا يجبنوا، وقلل المؤمنين في أعين الكفار؛ لئلا يهربوا".

وروي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قلت يوم بدر لبعض من كان بجنبي: تراهم سبعين رجلًا، فقال: أراهم مائة، ثم إنا أسرنا منهم فقلنا لهم: كم كنتم؟ فقالوا: كنا ألفا ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ يعني: ليقضي الله من إعلاء الإسلام وإذلال الشرك ونصرة المؤمنين وقتل المشركين".

وقال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ [تفسير السعدي (ص: ٣٢٢)]:

"وصدق رؤيا رسوله، فأرىٰ الله المؤمنين عدوهم قليلا في أعينهم، ويقللكم - يا معشر المؤمنين - في أعينهم، فكل من الطائفتين ترىٰ الأخرىٰ قليلة، لتقدم كل منهما علىٰ الأخرىٰ".

قلت: تقليل المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر كان تأكيدًا لرؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأويلًا لها، وتثبيتًا للمؤمنين.

الوقفة الثالثة: مسألة متعلقة بالرؤيا النبوية

أذكر في هذه الوقفة مسألة مهمة من المسائل المتعلقة برؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة بدر:

وهي: أنه روي عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية أنه قال: أي: "بعينك".

قال الإمام ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره (٥/ ١٧٠٩)]:

"٩١١٩ - حدثنا أبي ثنا يوسف بن موسىٰ التستري ثنا أبو قتيبة عن سهل السراج عن الحسن في قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [سورة الأنفال:٤٣] قال: بعينك. أي: بعينك التي تنام بها".

والذي يظهر من نص الآية -والله أعلم- ما قاله أكثر المفسرين: أنها رؤيا منامية، رأىٰ فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيش المشركين قليلًا فأخبر بذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأيد الله الرؤيا المنامية برؤيا عين رآها الصحابة وذلك يوم بدر حين رأىٰ الصحابة جيش المشركين قليلًا، فكان ذلك تثبيتًا للمؤمنين، وتأييدًا وتصديقًا لرؤيا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو الذي رجحه أكثر المفسرين رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

قال المفسر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره (٢/ ٢٦٨)]:

"الآية فيها قولان: أظهر القولين: أن المنام حقيقة النوم؛ فرآهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومه أقل مما كانوا".

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره/ دار الفكر (٢/ ٣٨٤) معلقًا على قول الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ]:

"وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام هاهنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه".

وقال شيخ الإسلام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [فتح القدير (٢/ ٣٥٨)]:

"وقيل: عنى بالمنام: محل النوم، وهو العين، أي: فهو موضع منامك وهو عينك، روي ذلك عن الحسن. قال الزجاج: هذا مذهب حسن ولكن الأول أسوغ في العربية لقوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [سورة الأنفال:٤٤] فدل بهذا على أن هذه رؤية الالتقاء، وأن تلك رؤية النوم".

فتبين من كلام أهل العلم والتفسير رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أن الآية تحدثت عن رؤيا منامية رآها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة القضاء

في يوم الاثنين الأول من ذي القعدة سنة ست للهجرة النبوية الشريفة خرج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة متوجهًا بأصحابه إلىٰ مكة لأداء العمرة، وسبب ذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ رؤيا في منامه وهو في المدينة، ومضمون هذه الرؤيا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين محرما مؤديًا للعمرة، وقد ساق الهدي معظمًا للبيت مقدسًا له، فبشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه ففرحوا بها فرحًا عظيمًا، فقد طال عهدهم بمكة والكعبة التي دانوا بتعظيمها، وما زادهم الإسلام إلا ارتباطًا بها وشوقًا إليها، وقد تاقت نفوسهم إلىٰ الطواف حولها، وتطلعت إليها تطلعًا شديدًا، ففرحوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وظنوا أنه هذه الرؤيا ستفسر هذا العام، فخرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بضع عشرة مائة من أصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قاصدًا مكة للعمرة، وكان قد أحرم من ذي الحليفة وقدم ملبيًا حتىٰ وصل الحديبية فصده المشركون عن أن يدخلها في ذلك العام وصالحوه علىٰ أن يدخل مكة من العام المقبل بسلاح الراكب -بالسيف والفرس-، ولما تم الصلح وكتبت الوثيقة المشهورة بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين قريش، حزن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حزنًا شديدًا لأنهم كانوا لا يشكون أنهم داخلوا مكة عامهم ذاك.

ولما لم يرىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقوع شيء مما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دخول مكة والطواف حول الكعبة وقع شيء في نفوسهم، حتىٰ أتىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكلمه وكان مما قاله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح

البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧٣١): "... قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلىٰ، فأخبرتك أنا نأتيه العام»، قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلىٰ، قلت: ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل؟ قال: بلىٰ، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه علىٰ الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلىٰ، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به...".

ولما لم يستطع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصل إلىٰ مكة المكرمة لأي سببٍ من الأسباب، قرر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقوم بالنحر والحلق في هذا المكان؛ ليتحلل من إحرامه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر الصحابة بذلك فلم يقم منهم أحد لما كانوا فيه من غم وحزن... وبعد مشورة من أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحر البدن ودعا الحالق فحلق له رأسه، فلما رأىٰ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ذلك الأمر قاموا جميعًا ولم يتخلف منهم أحد، قاموا وبدأوا في النحر، وجعل بعضهم يحلق بعضًا.

وفي ذي القعدة في السنة السابعة من الهجرة خرج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ مكة قاصدا العمرة، كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية، وقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوىٰ النساء والصبيان، ولم يتخلف من أهل الحديبية إلا من استشهد في

خيبر أو مات قبل عمرة القضاء... حتىٰ دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من المؤمنين مكة فأدوا مناسك العمرة، وصدق الله رؤيا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأنزل الله الآية مبينًا أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صدق رسوله في رؤياه وما أخر تأويلها إلا لما علمه جَلَّ جَلَالُهُ، ومن ذلك أن جعل الله صلح الحديبية فتحًا مبينًا.

قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم متحدثًا عن رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديبية: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفتح:٢٧].

ولنا مع هذه الرؤيا النبوية الشريفة وقفات:

وقفات مع رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة القضاء:

الوقفة الأولى: تفسير الآية الكريمة

النص القرآني للآية الكريمة:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفتح:٢٧].

تفسيرها:

قال الإمام المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٩٥)]:

"يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ وذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه، أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجعوا من غير دخول لمكة، كثر في ذلك الكلام منهم، حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: " أخبرتكم أنه العام؟ " قالوا: لا قال: "فإنكم ستأتونه وتطوفون به" قال الله هنا: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لا بد من وقوعها

وصدقها، ولا يقدح في ذلك تأخر تأويلها، ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أي: في هذه الحالة المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام، وأدائكم للنسك، وتكميله بالحلق والتقصير، وعدم الخوف، ﴿فَعَلِمَ﴾ من المصلحة والمنافع ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ الدخول بتلك الصفة ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾".

الوقفة الثانية: تأويل الرؤيا النبوية

سبق أن تحدثنا أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يظنون أن تأويل الرؤيا سيكون في ذلك العام –أي العام السادس–، لكن لعلم الله بمصالح المؤمنين جعل في ذلك العام فتحًا مبينًا لهم وصلحًا بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين قريش، وأخر تأويل الرؤيا إلىٰ العام القادم –وهو العام السابع من الهجرة النبوية حيث حصل فيه عمرة القضاء– فذلك كان تأويل الرؤيا النبوية.

الوقفة الثالثة: مسألة متعلقة بالآية والرؤيا النبوية

وهنا أذكر للقارئ الكريم ما تيسر لي مما يتعلق برؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة القضاء:

مسألة: تحقيق الرؤيا كان بعد عام من الرؤيا

سبق أن الرؤيا كانت قبل صلح الحديبية أي: كانت في العام السادس، وعمرة القضاء كانت في العام السابع، أي: تحقق تأويل الرؤيا بعد عام.

قال الإمام المفسر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره (٥/ ٢٠٧)]:

"قال المفسرون: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ في منامه أنه دخل مكة مع أصحابه محلقين ومقصرين، فقص ذلك علىٰ أصحابه، ولم يشكوا أن ذلك حق، وظنوا أن يكون في العام الذي هم فيه، واعتمر النبي وأصحابه وخرجوا علىٰ ذلك، فلما صدهم المشركون عن البيت ورجعوا، اغتم المسلمون غمًا شديدًا، وظنوا أنهم لا يدخلون، فأنزل الله هذه الآية. ومعنىٰ قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي: حقق الله رسوله أي: الرؤيا بالحق. وقوله:﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ وهذا التحقيق حصل في العام الثاني حين اعتمروا عمرة القضاء".

(رؤيا عين تفهم أنها رؤيا منامية):

وهنا أنبه القارئ الكريم على آيةٍ كريمةٍ يفهم من ظاهرها أنها تخبر عن رؤيا منامية رآها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه، لكن ذكر المفسرون رَحِمَهُمُ اللَّهُ أنها تتحدث عن رؤيا عين أريها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإليك بيان ذلك:

النص القرآني للآية الكريمة:

قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الإسراء:٦٠].

تفسيرها:

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في [تفسيره = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦١):

"﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ﴾ علمًا وقدرةً فليس لهم ملجأ يلجأون إليه ولا ملاذ يلوذون به عنه، وهذا كافٍ لمن له عقل في الانكفاف عما يكرهه الله الذي أحاط بالناس.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أكثر المفسرين على أنها ليلة الإسراء.

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ التي ذكرت ﴿فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ هي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم.

والمعنىٰ: إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنةً للناس حتىٰ استلج الكفار بكفرهم وازداد شرهم وبعض من كان إيمانه ضعيفًا رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء ومن الإسراء من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ كان خارقًا للعادة.

والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضًا من الخوارق فهذا الذي أوجب لهم التكذيب. فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة؟

أليس ذلك أولىٰ أن يزداد بسببه شرهم؟! فلذلك رحمهم الله وصرفها عنهم، ومن هنا تعلم أن عدم التصريح في الكتاب والسنة بذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة المتأخرة أولىٰ وأحسن لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيرًا ربما لا تقبلها عقولهم لو أخبروا بها قبل وقوعها، فيكون ذلك ريبا في قلوب بعض المؤمنين ومانعًا يمنع من لم يدخل الإسلام ومنفرًا عنه. بل ذكر الله ألفاظًا عامة تتناول جميع ما يكون".

ذكر أقوال بعض المفسرين في تفسير هذه الآية:

اعلم -حفظك الله- أن المفسرين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ اختلفوا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. اختلفوا في هذه الرؤيا علىٰ أقوال، أشهرها:

١) - أنها رؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أنه سيدخل مكة.

٢) - أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أري مصارع القوم في غزوة بدر.

٣) - أنها رؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بني أمية ينزون علىٰ منبره.

٤) - أن هذه الرؤيا رؤيا عين أريها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة الإسراء والمعراج، وهذا القول هو قول أكثر أهل التفسير:

روىٰ الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [صحيحه (٤٧١٦ و٦٦١٣)]: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -في قوله تعالىٰ-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الإسراء: ٦٠].

قال: "هي رؤيا عين أريها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة أُسري به إلىٰ بيت المقدس قال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ قال: هي شجرة الزقوم".

وقال الإمام الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [التفسير البسيط (١٣/ ٣٧٧)]:

"وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ اختلفوا في معنىٰ هذه الرؤيا؛ فأكثر المفسرين علىٰ أن المراد بها: ما أراه الله تعالىٰ ليلة الإسراء.

قال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما إنه ليس برؤيا ولكنه رأي عين، وهي رؤيا يقظة.

ومعنىٰ قوله: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ هو أنه ارتد بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء، وأنكروا وكذبوا، وازداد المؤمنون المخلصون إيمانًا".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [التفسير الوسيط (٣/ ١١٤)]:

"وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ يعني: ما أراه الله ليلة الإسراء، وكانت رؤيا يقظة، لا رؤيا منام، وهذا قول: سعيد بن جبير، وأبي مالك، والسدي، ومجاهد، وقتادة، والحسن، والضحاك، وابن زيد، وابن عباس في رواية عكرمة، قال: هي رؤيا عين أريها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة أُسري به في بيت المقدس، وذلك أنه ارتد بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء، فأنكروا وكذبوا، وازداد المؤمنون المخلصون إيمانًا، وكانت تلك الرؤيا فتنة للناس".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [الوجيز (ص: ٦٣٩)]:

"﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ يعني: ما أري ليلة أسري به وكانت رؤيا يقظة".

وقال الإمام السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره (٣/ ٢٥٤)]:

"وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ الأكثرون أن هذه الرؤيا هي ليلة المعراج، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، وغيرهم.

فإن قال قائل: ليلة المعراج كانت رؤية عين لا رؤيا نوم؟ والجواب: أنه قد صح عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في هذه الآية: هي رؤيا عين، أُسري بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الليلة".

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره – ط. طيبة (٥/ ١٠٣)]:

"﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ فالأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج من العجائب والآيات.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هي رؤيا عين أريها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو قول: سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثرين، والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكان فتنة للناس".

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [تفسيره (١٠/ ٢٨٢)]:

"قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ لما بين أن إنزال آيات القرآن تتضمن التخويف ضم إليه ذكر آية الإسراء، وهي المذكورة في صدر السورة. وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة أسري به إلىٰ بيت المقدس. قال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ هي شجرة الزقوم. قال أبو عيسىٰ الترمذي: هذا حديث صحيح.

وبقول ابن عباس قالت عائشة ومعاوية والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن أبي نجيح وابن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أُسري به.

وقيل: كانت رؤيا نوم. وهذه الآية تقضي بفساده، وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها، وما كان أحد لينكرها".

قلت: تبين مما سبق من كلام بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأهل التفسير رَحِمَهُمُ اللَّهُ أن الآية تحدثت عن ما رآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة الإسراء والمعراج، وأنها رؤيا عين، لم تكن رؤيا منامية، ولأن من عقيدة أهل السنة أن الإسراء والمعراج بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حقيقةً في اليقظةِ لا في المنامِ، وأنه أُسري وعرج به بروحه وبدنه الشريف لا بروحه فقط. -والله أعلىٰ وأعلم-.

الخاتمة

وهنا آن لي أن أختتم الكتاب، شاكرًا الكريم الوهاب، حامدًا إياه علىٰ ما يسر من كتابةِ حقٍ وصوابٍ، ومعتذرًا له عن أي خطأٍ خالف السنة والكتاب، ومعترفًا بعجزي الكبير، وتقصيري الكثير، فإن أصبت وأحسنت فيما جمعت وكتبت فهو محض فضلٍ من الله وحده، وما غفلت عنه، أو أخطأت فيه فهو من نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان من ذلك.

ومعتذرًا أيضًا للقارئ الكريم، عن أي خطأٍ وقعت فيه، أو كلامٍ جانبت الصواب فيه، أو نصٍ لم أحسن تنسيقه، أو حرفٍ لم أمعن في تدقيقه، أو معنىٰ لم أجيد توضيحه، أو مفهومٍ أسأت في تصحيحه، أو مسألةٍ لم آت بها، أو عبارةٍ غفلت عنها.

وقائلًا لقارئ الكتاب، والناظر فيه: "يا أيها القارئ له والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبها المزجاة مسوقة إليك... لك غنمه، وعلىٰ مؤلفه غرمه، ولك ثمرته، وعليه عائدته، فإن عدم منك حمدًا وشكرًا فلا يعدم منك عذرًا، وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح"(١).

كما "أسأل من وصل كتابي هذا إليه، ووقف بنظره السديد عليه، إذا عثر علىٰ شيءٍ مما طغىٰ به القلم، أو زلت به القدم، أن يحصله ويدرأ بالحسنةِ السيئة، ويخطر في قلبه أن الإنسان محل النسيان، وأن الصفح عن عثرات الضعاف من شيم الأشراف، وأن

(١) من كلام الإمام ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طريق الهجرتين (ص ١٠ ط قطر ١٣٩٧).

الحسنات يذهبن السيئات، فإني بالعجز معترف، وبالخطأ والتقصير متصف، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل"(١).

أي أُخي: هذا ما فتح الله به علي في ما يتعلق بالرؤىٰ المنامية في القرآن الكريم، وذكر شيءٍ مما ذكره أهل العلم عند الآيات الكريمة، وطرح بعض الفوائد المستفادة من تلك الرؤىٰ المذكورة، في الآيات الشريفة المزبورة، فإن كان عندك من تصحيحٍ، أو نقدٍ وتوضيحٍ، فباب قلبي لك مفتوح، وصدري لك مشروح، فلا تبخل أن تُسدِ إلي النصيحة، أو تبادرني بالفائدة الصحيحة، فـ والله لنصيحة أرسلت، خير من دراهمٍ أهديت، ورضي الله عن عمرٍ إذ يقول –فيما معناه–: "رحم الله رجلا أهدىٰ إلي عيوبي".

وكان الفراغ من كتابة هذا السفر في الحادي عشر من شهر رجب لعام خمسةٍ وأربعين وأربع مائة وألف للهجرةِ النبويةِ علىٰ صاحبها الصلاة والسلام.

الموافق للثالثِ والعشرين من شهر يناير لعام ألفين وأربعةٍ وعشرين ميلادية.

١١/ ٧/ ١٤٤٥هـ الموافق ٢٣/ ١/ ٢٠٢٤م

أسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وقارئه، وأن يتقبله عنده، وأن يكتب له القبول عند خلقه، وأن يجعله لي ذخرًا، وأن يكتب لي به أجرًا، إنه سميع الدعاء، وواسع العطاء.

---

(١) من كلام الإمام إبراهيم بن عبد الله الفرضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العذب الفائض (١/ ٤ ط ١٣٧٢ هـ الحلبية).

أهم مصادر البحث

مصادر هذا البحث كثيرة سواءً كتب التفسير أو الحديث وشروحه وغيرها من كتب أهل العلم فمن أهم مصادر هذا البحث ما يلي:

١) القرآن الكريم، وهو أهم مصدر في هذا البحث، بل هو الأصل.

كتب التفسير ومنها:

٢) أحكام القرآن: للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣ هـ).

٣) بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٤) البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ).

٥) التفسير البسيط والوسيط والوجيز: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ).

٦) تفسير القرآن العظيم: لأبي أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ).

٧) تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ).

٨) تفسير القرآن: لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ).

٩) تفسير القرآن: لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى:٦٦٠هـ).

١٠) تفسير عبد الرزاق الصنعاني: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١ هـ).

١١) تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠ هـ).

١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ).

١٣) جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

١٤) الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ).

١٥) فتح القدير: للقاضي محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليماني (المتوفى: ١٢٥٠هـ).

١٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ).

١٧) لباب التأويل في معاني التنزيل: لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ).

١٨) محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ).

١٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ).

٢٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن: لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ).

٢١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ).

٢٢) النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ).

كتب الحديث ومنها:

٢٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ).

٢٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ هـ).

٢٥) السلسلة الصحيحة، والسلسلة الضعيفة، وصحيح الجامع، وظلال الجنة: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).

٢٦) سنن ابن ماجه: ابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ).

٢٧) سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ).

٢٨) سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ).

٢٩) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ).

٣٠) المجتبى من السنن = السنن الصغرى: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ).

٣١) المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ).

٣٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ).

٣٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ = صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ).

٣٤) المصنف: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ).

٣٥) المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ).

كتب أخرى:

٣٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم: لأبي الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (المتوفىٰ: ٥٤٤هـ).

٣٧) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (المتوفىٰ: ٣١٠هـ).

٣٨) الرؤىٰ عند أهل السنة والجماعة والمخالفين: لسهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي.

٣٩) زاد المعاد في هدي خير العباد، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، وطريق الهجرتين وباب السعادتين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ).

٤٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفىٰ: ٣٩٣هـ).

٤١) العذب الفائض شرح عمدة الفرائض للفرضي: لإبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الفرضي.

٤٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (المتوفىٰ: ٨٥٢هـ).

٤٣) فوائد مستنبطة من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفىٰ: ١٣٧٦ هـ).

٤٤) القاموس المحيط: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفىٰ: ٨١٧هـ).

٤٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ).

٤٦) لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ).

٤٧) المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ).

٤٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ).

محتويات البحث

المقدمة ٥

مدخل ٩

تعريف الرؤى: ٩

الفرق بين الرؤى والأحلام: ٩

الفرق بين الرؤيا والرؤية: ١٣

دلالات الرؤى المنامية: ١٦

أنواع الرؤى المنامية: ١٩

أقسام الناس في الرؤى المنامية: ٢١

رؤيا خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٤

الرؤيا الإبراهيمية: ٢٧

وقفات مع الرؤيا الرؤيا الإبراهيمية: ٣٠

الوقفة الأولى: تفسير الآيات المتعلقة بالرؤيا الإبراهيمية ٣٠

الوقفة الثانية: من هو الذبيح؟ ٣٣

الوقفة الثالثة: فوائد من الرؤيا الإبراهيمية ٤٦

رؤيا الكريم بن الكريم بن الكريم بن الخليل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٤٨

الرؤيا اليوسفية: ٤٨

وقفات مع الرؤيا اليوسفية: ٥٠

الوقفة الأولى: تفسير الآيات الكريمة ٥٠

الوقفة الثانية: تأويل الرؤيا اليوسفية ٥٦

الوقفة الثالثة: مسائل متعلقة بالرؤيا اليوسفية ٥٩

الوقفة الرابعة: فوائد من الرؤيا اليوسفية ٦٥

رؤى السجينين الذين كانا في السجن مع يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٦٧

وقفات مع رؤى السجنين: ٦٩

الوقفة الأولى: تفسير الآيتين ٦٩

الوقفة الثانية: ذكر رؤيا كل واحد منهما مع تأويلها ٧٢

الوقفة الثالثة: مسائل متعلقة برؤى الفتيين السجينين ٧٧

الوقفة الرابعة: فوائد من رؤى السجينين ٨٣

رؤيا ملك مصر ٨٤

وقفات مع رؤيا ملك مصر: ٨٦

الوقفة الأولىٰ: تفسير الآيات المتعلقة بالرؤيا ٨٦

الوقفة الثانية: تفسير الآيات المتعلقة بتأويل الرؤيا ٩٠

الوقفة الثالثة: مسائل متعلقة برؤيا الملك..... ٩٢

الوقفة الرابعة: فوائد من رؤيا ملك مصر ٩٦

رؤيا فرعون ٩٨

وقفات مع رؤيا فرعون:..... ١٠٢

الوقفة الأولىٰ: رؤيا فرعون التي ذكرها السدي وغيره ١٠٢

الوقفة الثانية: تأويل الرؤيا الفرعونية ١٠٢

الوقفة الثالثة: فوائد من رؤيا الطاغية فرعون..... ١٠٣

فائدة في: (إلهام الله لأم موسىٰ عليهما السلام) ١٠٤

رؤىٰ نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ١٠٧

رؤيا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يوم بدر..... ١٠٩

وقفات مع رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة بدر: ١١١
الوقفة الأولى: تفسير الآية الكريمة ١١١
الوقفة الثانية: تأويل الرؤيا النبوية ١١٣
الوقفة الثالثة: مسألة متعلقة بالرؤيا النبوية ١١٥
رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة القضاء ١١٧
وقفات مع رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة القضاء: ١٢٠
الوقفة الأولى: تفسير الآية الكريمة ١٢٠
الوقفة الثانية: تأويل الرؤيا النبوية ١٢٢
الوقفة الثالثة: مسألة متعلقة بالآية والرؤيا النبوية ١٢٣
(رؤيا عين تفهم أنها رؤيا منامية): ١٢٤
الخاتمة ١٣٠
أهم مصادر البحث ١٣٢
محتويات البحث ١٣٨

"يا من غدا ناظرًا فيما كتبت ومن ... أضحىٰ يردد فيما قلته النظرا
سألتك الله إن عاينت لي خطأً ... فاستر علي فخير الناس من سترا"

ثم الكتاب بحمد الله وفضله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

فلله الحمد والمنة والكبرياء، في الابتداء والانتهاء.